

حفرت التوراة  
في عيني

## صدر للمؤلفة عن دار الساقى:

- لك هذا الجسد لا خوف عليّ
- ٩٩ حجاباً
- هاجر قبل الاحتلال، هاجر بعد الاحتلال
- أنا والجنة تحت قدميك

أمل الجبوري

# حفرت التوراة في عيني

سردية أخرى



© دار الساقى 2016  
جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الأولى 2016

ISBN 978-6-14425-968-9

دار الساقى  
بناية النور، شارع العوينى، فردان، ص.ب: 113/5342، بيروت، لبنان  
الرمز البريدي: 6114-2033  
هاتف: +961-1-866 442، فاكس: +961-1-866 443  
email: info@daralsaqi.com

يمكنكم شراء كتبنا عبر موقعنا الإلكتروني  
www.daralsaqi.com

تابعونا على

@DarAlSaqi



دار الساقى



Dar Al Saqi



إلى أميرة بغداد

وحفيدة بابل

سليلة العراق المصاب بالشيزوفرنيا

مارسيل بنت راحيل هي اختزال ظلم العراقيين  
بعضهم لبعض.



## المحتويات

|    |                                    |
|----|------------------------------------|
| ١١ | باب البوح                          |
| ١٣ | حَفَرَتِ التَّوْرَةُ فِي عَيْنِي   |
| ١٧ | يَا مُهَيِّمَن                     |
| ٢٢ | حَلَّتْ عَلَيْكَ لَعْنُهُمْ        |
| ٣٣ | عيد الغفران                        |
| ٣٨ | مَشَّتْ فِي الشَّتَات              |
| ٤١ | يَحْيَا الْمُنْتَظَر               |
| ٤٤ | يَا رَبَّ إِبْرَاهِيمَ             |
| ٤٧ | أَرْضُ الْمِيعَادِ                 |
| ٤٩ | قَرِينُ قَلْبِي                    |
| ٥٥ | مَنْ كَانَ أَعْدَلَ مِنْ قَلْبِكَ؟ |

- ٦٠ قاحلة أنا وأنت زمزم
- ٦٦ وجهي
- ٧١ صرخت هاجر
- ٧٤ من ولاك قلبه
- ٧٩ النبية المجنونة
- ٨٥ باب وصايا هاجر إلى إبراهيم الخليل
- ٨٧ اعمل لدنياك
- ٨٨ لا تُشرك بي يا إبراهيم
- ٩٠ قبل طلوع الشبّاث
- ٩٢ صلاة أم شبّاث
- ٩٤ وقفتُ أمام الله
- ٩٧ باب الاعتذار
- ٩٩ أمّ البغداديين
- ١٠٦ يا أمّ سامي
- ١٠٩ نيران و حوريتها اليتيمة
- ١١٢ سامي يا معلّم العراقيين
- ١١٥ إيلين وداود خلاصجي



|     |                        |
|-----|------------------------|
| ١٢٣ | نيران حاملة الأسرار    |
| ١٢٧ | أهلي                   |
| ١٣٣ | الباب الأخير           |
| ١٣٥ | وجدتُ كلَّ شيءٍ إلا... |



## باب البوح



## حَفَرَتِ التَّوْرَةَ فِي عَيْنِي

يَفْتَحُ عَيْنَ هَاجِرٍ وَيُخْفِي قُبْلَاتِهِ  
أَغْمَضَتْ هِيَ أَجْفَانَهَا  
وَطَارَتْ بِهِ إِلَى قَلْبِهَا  
خَائِفٌ هُوَ  
وَلَا يَعْرِفُ أَنَّهَا مَنَحْتَهُ حُظُوتَهَا وَسَرَّهَا الْمَوْجِلَ  
نَامِي أَيْتِهَا الْقُبُلَاتُ  
”مَطمِنَّةٌ رَاجِعَةٌ إِلَى فَمِكَ رَاضِيَةٌ رَضِيَّةٌ“  
أَدْرَكْتُ... تَصْرُخُ هَاجِرٌ صَامِتَةً  
فَلَمَّا ذَا فَتَحَ عَيْنَهَا عَلَى وُسْعِهَا  
لَكِنَّ اللَّهَ الَّذِي حَبَلَتْ بِهِ قَبْلَ وَلَادَتِهَا  
يَهْمِسُ فِي أُذُنِهَا: ”إِبْرَاهِيمَ وَضَعَ فِيهَا التَّوْرَةَ

وحَفَرَ في رَأْسِكَ أَعْمَدَةَ الْقُرْآنِ“  
أَخَافَتَنِي نَظَرُتُهُ فِي وَدَاعِنَا الْأَخِيرِ  
لَكِنَّهُ ضَرَبَ بَعْصَاهُ الْأَرْضَ فَجَاءَتْ دِجْلَةُ  
وَحَلَّ فِينَا الْفِرَاتَ وَالنَّخِيلَ وَنَبَتَ اللَّوْبِيَا<sup>١</sup>  
وَانْسَكَبَ الْعِنْبُ وَالْكَالِيْتُوسُ وَالشَّبْوِيُّ<sup>٢</sup> وَالرَّازِقِيُّ<sup>٣</sup>  
لِيَحْمِلُونَا عَلَى ظَهْرِ أَرْضِنَا إِلَى حَجَّاتِ الْمَوْعُودِ  
كَانَ الْأَطْفَالُ يَدُورُونَ، يَطُوفُونَ حَوْلَ الْمَاءِ  
وَكَلَّمَا فَتَحْتُ عَيْنِي  
خَرَجْتَ الْمَزَامِيرَ فِي حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ وَالتَّقَتْ حَوْلَ ذِرَاعِهِ  
وَالْتَقَتْ مَذْعُورَةٌ مِنْ قَتْلَةِ الْعَشَّاقِ  
وَرَأْسِي الْمَمْلُوءُ بِسُورِ الْكِتَابِ الْأَخِيرِ  
تَدْفَعُ بِشَكْوَكِي إِلَى الْمَاءِ  
أَرَدْتُ أَيْضاً أَنْ أَغْسِلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ

١ اللوبيا: نبات مثل الفاصوليا الخضراء ويؤكل مسلوقاً ويستخدمه يهود العراق ويضعونه على المائدة في عيد السنة العبرية.

٢ الشبوي هو نبات متسلق له رائحة عطرة تفوح فقط ليلاً، والعراقيون يسمونه الشبوي فيما يطلق عليه اللبنانيون ”كولونيا“.

٣ الرازقي تسمية العراقي لزهرة الفلّ الأبيض.

الذي فارَّ به صدري  
فإبراهيم الذي أسرني في صحراء بلاده  
لم يعرف أنني الحُبلى بأمطار العالم  
ارتويتُ ورَويتُ ورأيتُ  
أحببتُ أن أدثره بشعري  
من نفاق المتربِّصين بنا  
غنائم لهذه التواييت  
تواريتُ فيّ، ورأيتني فيك  
عيني ملاذك الأخير  
أيتها المزامير هلاً أحسستِ بالقرآن وهو يمنحني  
فحولة الدهور  
فتكؤم في كل ناطحات السحب  
وأرفع الصخور من وجوه شعبك وأولادك  
وأُنجب لك معاً توأماً متصالحاً في العداوة  
متحاباً في لغز الأساطير  
أُنجب لك كعبة لأتوارى أنا هناك  
وتنجو أنت وشعبك المختار في قبة وِجدارٍ

يَبْحَثُ عَنْ هَوِيَّةِ قَلْبِي  
عَبثًا تَظَلُّ تَحْفَرُ يَا إِبْرَاهِيمُ لِتَهَيِّمَ أَنْتِ وَذَرِيَّتُكَ  
فِي مُدُنِ الْعَرَبِ الذَّابِلَةِ  
تَائِهًا

كَلَّانَا يَنُوحُ عَلَى وَطَنِ تَوْءَمَ قَلْبِكَ وَعَيُونِي الْمَمْلُوءَةَ بِكَ  
لَا أَحَدٌ سِوَدُكَ عَلَى سِرِّ الْهَيْكَلِ الْمَفْقُودِ غَيْرُ التَّوْرَةِ  
الَّتِي حَفَرَتْهَا فِي عَيْنِي  
قَبْلَ أَنْ تَرْمِينِي لِرِمَالِ شَكِّكَ  
كَلَّانَا يَنُوحُ عَلَى بَيْتٍ لَنْ تَجِدَهُ إِلَّا فِي عَيْنِي النَّائِمَةِ  
فِي عَيْنِكَ  
وَكِتَابِكَ  
الْدَّفِينِ فِي رَأْسِي وَالْمَزَامِيرِ.



## يا مُهَيِّمَن

الليلة سحبتُ وإيَّاك الفراتَ إلى هنا  
وجعلتْكَ تدركُ أنَّ بغدادَ ممكن أن تتحوَّلَ  
إلى مدينةٍ مسافرةٍ وراحلةٍ  
يُحطُّ بها الشتاتُ  
في محطاتٍ مسروقةٍ من أقدارنا  
أسيرةٍ  
هذي الزهور التي لا تَعْبَقُ إلا بروح خاوية  
جعلتْكَ تعود ٢٦٠٠ سنة إلى منفانا بلدنا  
الذي صار جثَّتِنَا المعلقة في مصائر السراق  
والطَّغاةِ  
الرازقي يتيَّمُ يلبَسُ البياضَ

ويحتفي بالماء ويرقصُ لِندى صباحات السّطوح<sup>١</sup>  
ونحن نهبط فجراً قبل أن تلوّحنا الشمس  
في أسِرّة الشهوة  
لنُكمل غفوتها في رائحة التراب المبلّل  
بحنفيات<sup>٢</sup> بيوتنا  
هناك في البتاوين<sup>٣</sup>  
أو في الكرادة<sup>٤</sup>  
قرب بيت فيوليت<sup>٥</sup>

أو خلف بيت إيلين وداود خلاصجي وعمّو دانيال<sup>٦</sup>.

١ أعلى المنزل حيث اعتاد العراقيون النوم هناك في وقت الصيف ولكن بسبب تغيرات المناخ اختفت هذه العادة.

٢ أُنابيب المياه

٣ زقاق بغدادى كانت تسكنه الأغلبية من يهود العراق، كان من الأحياء الراقية جداً واليوم تحوّل إلى مكان تجاري تغيب عنه شيئاً فشيئاً ملامح ذاك الزقاق لأرستقراطيّ العراق.

٤ منطقة في بغداد كانت عبارة عن مجموعة بساتين لعوائل بغدادية منها عوائل عريقة من يهود العراق.

٥ إشارة إلى فيوليت شمّاش، تنتمي إلى أسرة من يهود العراق عُرفت ببنائها أول قصر من الطابوق في تاريخ بغداد الحديث، هُدم هذا المنزل وتحوّل اليوم إلى فندق بابل.

٦ إيلين دنكور هي حفيدة الحاخام الأكبر للطائفة اليهودية في العراق آنذاك =

نُكْمَلُ هذا النومَ أبداً  
نريدُ أنْ نجمعَ كلَّ الزهور  
وشهقات الفلاحين والعاشقين  
الذين يأكلون شِفاهَ نسائهم خِلْسَةً من الدِّينِ  
والأعرافِ  
والقوانينِ  
الرازقي هرب سرّاً  
ودجلةُ التي استمعتْ إلى احتكاكِ قدمينا خجلاً  
وشهقةً  
تَهْرُبُ من أسرها العراقي لتحلّق بنا  
هناك ونحن نبكي على ظهر الفرات لِيَحْمِلَنَا إلى هناك  
وهنا بكينا الفرات الذي صار أسيراً يجفّ ظلماً وحرناً  
ويُدجّنُ في سجن المعممين المتطرّفين،  
نبكيه ولا نبكي على ضفافه

---

= وزوجة داود خلاصجي ابن عيزرا خلاصجي أحد أهم أثرياء عوائل بغداد. داود خلاصجي تجاوز السادسة والتسعين من عمره، لم يزر "إسرائيل" وحين تسأله يجيب "لأنني أحلم بالعودة إلى بلادي إلى العراق".

لأن ماءه حلّ في دمنّا  
توزّع هنا وهناك  
ووسّد سبينا بزّادة<sup>١</sup> دمّوع في مزاد الأوطان  
فلماذا حينما نتكلم عن الحبّ  
لا نجد غير خراب الهيكل وهذا الخذلان؟  
قلت لك ها هي بغداد  
أريد أن ألتحفها  
أحضانها  
والمطر يُبلّغني  
رسائل الله  
فأمسك بالتيّمز<sup>٢</sup> متوهّمةً بدجلة  
لكنّ خوف العراق يدفعني بعيداً إلى الماء  
فلا أنت...  
ولا الفرات...  
ولا الرّازقي...

١ كلمة تُطلق على مؤونة الغداء التي يحملها الإنسان وهو على سفر.

٢ نهر التيمز الشهير في لندن الذي يشق قلب لندن إلى نصفين.

ولا الأمنُ...  
أو الأمنياتُ...  
كلُّ شيءٍ يغوص في صمت.

## حَلَّتْ عَلَيْكَ لَعْنُهُمْ

أَكْمَلْ أَكْمَلْ يَا إِبْرَاهِيمُ قِصَّةَ قَبِيلَتِكَ  
أَكْمَلْ يَا جَدِّي قِصَصَ الشَّتَاتِ  
قِصَصَ التَّهْجِيرِ

كَانَ الْمَاءُ مَالِحاً خَطَّهْ دَمْعُكَ الْخَجَلَ  
يَدُوْنُ مِثْلَ حِكْوَاتِي سَجَلْ نَفُوسَكَ الْمَنْهُوبِ<sup>١</sup>  
الدَّمْعُ يَنْدُبُ حَظَّ الَّذِينَ لَنْ يَقْرَؤُوا مَا سَتُدَوِّنُهُ حِسْرَاتُكَ.  
يُوْذِنُ صَوْتُهُ مِنْ ذُنُوبٍ يَحْمِلُهَا:  
”كَانَ يَا مَا كَانَ، كَانَتْ لَنَا مَدِينَةٌ،  
وَبَيْتٌ نَعُودُ لَهُ،

---

١ سَجَلْ النَفُوسِ: هُوَ سَجَلُ الْأَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ، الطَّائِفَةُ الْيَهُودِيَّةُ الْعِرَاقِيَّةُ  
تَكَادُ تَكُونُ الْيَوْمَ الطَّائِفَةُ الْوَحِيدَةُ فِي الْعِرَاقِ الَّتِي لَمْ تَسْتَرَدْ سَجَلَهَا وَلَا  
هُيْتَهَا الْعِرَاقِيَّةُ.

وأنهارٌ نتوضأُ بها  
وعاشقاتٌ وجيران  
كانت لنا بلادٌ  
قبل أن تذهب للنوم ليلاً يفاجئون صباحك بالتهم  
أو... لا... هكذا  
يقولون لك: ارحلْ  
حلّت عليك لعنةُ فلسطين و”إسرائيلَ” معاً  
ونحن يا جدي  
أخرجونا من أحداقِ عيوننا ورَمَوْا وجوهنا للتيه  
حفاةً  
عراةً من أشياءنا  
صوّرنا التي ظلّت في بيوتنا وأموالنا المجمّدة<sup>١</sup>  
بيوتنا التي ما عادت بيوتنا

١ الأموال المجمّدة: مصطلح يُستخدم للإشارة إلى الأموال غير المنقولة وهي العقارات التي كان يمتلكها يهود العراق وقد دخلت تحت هذا البند استناداً إلى قرار من الحكومة العراقية في الخمسينيات، واليوم يُصار إلى تزوير شهادات ووثائق ملكيّة هذه العقارات وتُباع ويُهدم أغلبها وبناء بنايات تجارية في الوقت الذي تدرج فيه أغلب هذه البيوت والبنائات ضمن المباني التراثية التي يجب الحفاظ عليها.

جَنَدَهَا شَعْبُنَا لِلْعِنَا كُلَّ يَوْمٍ  
 طَرَدْنَا دُونَمَا إِنْذَارَ،  
 وَلَا لُبْرَهَةٍ كِي نَحْمِلَ رَائِحَةَ التُّرَابِ  
 وَلَوْ خِلْسَةً  
 عَلَى عَجَلٍ  
 وَكُنَّا مِثْلَ زَوْجَةٍ وَفِيَّةٍ تُرْمَى إِلَى شَارِعِ الْخَلْعِ أَوْ الطَّلَاقِ  
 دُونَ إِنْذَارٍ يَمْنَحُهَا فُسْحَةً لِلسُّؤَالِ  
 دُونَ مَا أَيِّ سَبَبٍ  
 بَيْنَ لَيْلَةٍ أَوْ نَهَارٍ  
 أَصْبَحْنَا غُرَبَاءَ لَا بَلَّ أَعْدَاءِ الْوَطَنِ  
 خْتَمُونَا بِشَمْعِ النِّسْيَانِ الْأَحْمَرِ  
 وَتَمَرَّدُوا عَلَى مَحْنَتِنَا  
 الَّتِي وُلِدَتْ مِنْ رَحِمِ الرَّافِدِينَ.  
 أَتَيْتَهَا الْأَكَاذِبُ  
 يَا مَنْ بَعَثَنَا إِلَى الْقَسْوَةِ  
 مِثْلَ أَسَدٍ مَلَّ هَذَا الْقَفْصَ وَانْتَفَضَ عَلَى حَرَّاسِهِ  
 الرَّافِدَانِ يَتَلَعَّانَا فِي تَوَارِيخٍ مَزُورَةٍ



لِيَصِقَنَا جَمِيعاً فِي تَارِيخٍ مَسْكُوتٍ عَلَيْهِ  
وَمِثْلَ النَّادِلِ الَّذِي يَمْلَأُ الشَّايَ بِالْمَلْحِ  
كَانَتِ الْحُدُودُ تَطْرُدُنَا وَلَا تَخْجُلُ،  
مِنْ أَعْمَدَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي رَفَعَتْ الْعِرَاقَ بِنَا  
هِنَاكَ فِي السَّمَاءِ  
وَتَجْعَلُ بِلَادَ الْفِرَاتِ تَهْبِطُ مِثْلَ بَرَجِي نِيُورِكِ  
وَبَرَجِ بَابِلَ الَّذِي قَرَّرَ أَنْ يَنْجُو بِنَفْسِهِ وَيَهْرُبَ إِلَى اللُّغَاتِ  
قَلَّتْ لَهَا:

هُوَ نِي عَلَيْكَ يَا ابْنَةَ الْبَصْرَةِ<sup>١</sup> الَّتِي أَبَكَتِ الْكِنْعَانِيِّينَ  
تَنْفُثُ دُخَانَهَا بِسُخْرِيَّةٍ مِنْ إِشْكَنْازِيِّينَ<sup>٢</sup> تَوْهَّمُوا  
أَنَّهُمْ مَنَحُوهَا الْحَرِّيَّةَ؛

الْتِمَدَنَ وَبَرَكَهَ "الدَّوْلَةُ الْجَدِيدَةُ"  
وَهُمْ لَا يَدْرِكُونَ أَنَّهَا كُكُلٌ نَسَاءِ الْعِرَاقِ

- ١ ابنة البصرة: إشارة إلى سليمة، امرأة من يهود العراق هُجِّرَتْ بعد حوادث  
الفرهود من مدينة البصرة وبقيت هائمة في شوارع تل أبيب أدمنت  
التدخين هي وسيجارتها تحوَّلت إلى أيقونة تختزل مأساة اليهود من الدول  
العربية بسيجارتها التي تحرق كل أيامها في أرض "إسرائيل".
- ٢ الإشكنازيون: تسمية تُطلق على يهود أوروبا.

تُمْسِكُ بَسْرَ مَشِيمَتِهَا الَّذِي يَطُولُ وَيَسْتَحِيلُ  
أَنْ يَنْقَطَعَ  
يَتَرَاخَى وَيَغْفِرُ وَيُظَلُّ يَرْضَعُ مِنْ ذَكَرِيَّاتِ الْعِشَارِ<sup>١</sup>  
وَسُوقِ الْهِنُودِ<sup>٢</sup>  
أَيُّهَا الْعِرَاقِيَّةُ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ  
تُمْسِكِينَ بَسْرَ الْحَيَاةِ حِينَمَا تُحْبِبِينَ  
حِينَمَا يُخْتَطَفُ قَلْبُكَ.  
يَا قَلْبَهَا هَوْنٌ عَلَيْكَ  
هَلْ جَاءَتْهَا بَغْدَادُ مُعْتَذِرَةً تَطْلُبُ مِنْهَا الْغَفْرَانَ  
عَلَى أَيَّامِ حَزِيرَانَ  
وَإِلَيْكَ  
وَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْحُبُّ حِينَمَا يَرْمِيكَ الْقَلْبُ الَّذِي تَخْتَبِئُ فِيهِ  
خَارِجاً  
دُونَمَا إِنْذَارِ

---

١ العشار: منطقة شهيرة في محافظة البصرة جنوب العراق.

٢ سوق الهنود: سوق شهير في البصرة جنوب العراق عُرف بتنوّع البضائع التي كانت تأتي إلى ميناء البصرة من شتّى أنحاء العالم وخاصة من الهند ويُسمّى سوق الهنود.

ويقول لك: "تنفس...

عش...

أو... مُت...

انتهى الامر"

كان يا ما كان كان لنا بلدٌ لم نعرفْ غيرَه

بلدٌ وُلدنا فيه

عشقناه

سرقنا ولم نسرقه

بنيناه

وشيدناه بالمزامير التي حملت الإنجيلَ والقرآنَ

في حدائقنا

وكانت بغدادُ

فيها مزارعٌ وبساتينٌ ووردٌ وريحانٌ

فيها الحسينيّات<sup>١</sup> التي لا تُغلق أبوابها

الحسينيّات التي تصحو على أذان جوامع جيراننا

حينما تأتي أعيادُنا وتدقُّ الأجراسُ

---

١ الحسينيّات: أماكن لإحياء المناسبات الدينية عند المسلمين الشيعة.

في أذن طفولتنا  
و حين تتخاصمُ الرؤوسُ  
ما همَّنا

كان همُّنا أن نَحْمِي بغدادَ من غضبِ دجلةَ كلَّ عام  
دجلةَ الذي يحاولُ تأديتنا جميعاً بإرضاعنا الآهاتِ  
حينما يُخيفنا الفيضان<sup>١</sup>  
ويكون صدىً لما يجولُ خارجَ دارنا  
دارنا العراقَ لم نعرفَ غيرها يا جدِّي  
لم نعرفَ مثلها يا ولدي  
لم ننمَ بسطحٍ غيرِ سطوحها  
يا والدي

كان يا ما كان، كانت مدرسةُ فرانك عيني<sup>٢</sup>  
تزرع في عقولنا شعيرَ وقمحِ المعرفةِ

١ الفيضان: إشارة إلى فيضان نهر دجلة الذي كان يُغرق بغداد في الخمسينيات.

٢ فرانك عيني: مدرسة فرانك عيني أُسِّست في أربعينيات القرن الماضي وبعد رحيل أغلبية الجالية اليهودية من العراق وإغلاق عشرات المدارس بقيت الوحيدة التي توفر التعليم من الروضة إلى الإعدادية وقد اغلقت وأُمِّت في عام ١٩٧٢.

وتغذينا بحنانِ الأمّ الذي لم تجرّبه

ستّ سمحة<sup>١</sup>

معلّمة بغداد الأولى

كان جدنا مناحيم دانيال<sup>٢</sup>

يوزّع زكاته عادلاً بين أهل العراق

ويدهُ اليمنى تخفي عطايه عن كفّ اليسرى

لا أحد يعرف من أين أتت الغلّة اليومَ وامتلاً بها

بيتُ أمّ عليّ بالقمح

لا أحد يدري لكن عباس العزاوي<sup>٣</sup>

كان يراقب المشهد متخفياً وهو يدوّن عُمر الحقيقة

في أختام بغداد

ختمها العباسي

ختمها الملكي

---

١ ست سمحة: هي أول معلّمة في تاريخ تلك المدرسة، لم تتزوج، كانت تعتبر جميع الطلاب والطالبات أبناءها وبناتها، هُجرت إلى "إسرائيل".

٢ مناحيم دانيال: هو أحد أعضاء مجلس الأعيان في العراق ممثلاً الطائفة اليهودية العراقية.

٣ عبّاس العزاوي: المؤرّخ العراقي الشهير الذي أشار إلى تلك التبرّعات (تبرّعات مناحيم دانيال) في واحد من كتبه.

وما بين الخَتَمين  
تهجّد محمّد حسرةً ممّا سمعهُ  
وهالهُ ما رأى  
وقال ”لم أكن أعرف أن مَوْتِي سَيُطِيحُ بِأَمَّتِي  
إلى درك الجحود،  
أهكذا إذا كنتم تُساقون الى الموت وأنتم صامتون“؟!،  
وما زلتم تغفرونَ ولكن تتذكّرون.  
لا تبك يا إبراهيم  
دمعاتك تسيلُ منها قصصُ بناتِ بغداد اللواتي رُمينَ  
في خيمِ تل أبيب<sup>١</sup>  
وهنّ لا يعرفن من حروف الكون إلّا بغداد  
ها هي أمّك، ها هي سارة تمسحُ ماءَ الدمع وتخرُجُ مبلّلةً  
هي وحفيداتها تمسكُ بهاجرَ التي كانت بانتظارها  
دمعُك المقدّس في التوراة،

### الإنجيل والقرآن

١ خيمِ تل أبيب: إشارة إلى مخيمات وُضع فيها اليهود الذين هُجّروا من  
الدول العربية والغالبية كانت من يهود العراق.

دمْعُكَ يَسِيلُ وَتَظُنُّ أَنَّ بُرْدَتَكَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ  
 قَدْ جَفَّتْ سَبِيلَ تِلْكَ الْقَصَصِ  
 لَكُنْهُمْ يَخْرُجُونَ الْآنَ مِنْ خَتَمِ مُحَمَّدٍ  
 الَّذِي يَقَاسُمُكَ الْبُكَاءَ  
 يَبْكِي عَلَيْكَ  
 وَيَبْكِي عَلَيْهِمْ  
 كَيْفَ اسْتَبَاحْتَ حَيَاتَهُمْ بِالْمَوْتِ وَمَا زَالُوا  
 يَرُونَ فِيكَ عَدُوَّهُمْ وَمَغْتَصِبَ دَارِهِمْ،  
 دَارُكَ الَّتِي عَمَّرَتْهَا بَوْلَانُكَ لِلْعِرَاقِ  
 فَاطِمَةُ حَيْرَى مِنَ الَّذِينَ كَانُوا أَوَّلَ الْمُبَايَعِينَ لِإِمَامِهَا  
 وَعَاصِمٌ قَلْبِهَا مِنَ الْمَوْتِ كَمَدًّا عَلَى غَدَرِ كَرْبَلَاءَ بَوْلِدِيهَا  
 مَعْصُومَةٌ نَسَاؤُنَا بِهَذَا الْقَهْرِ  
 مَعْصُومَاتٌ وَمَعْصُومُونَ لِأَنَّنَا شُرَكَاءُ بِهَذَا الْهَمِّ  
 ”يَا مِلَّتِي  
 يَا طَوَائِفُ خَرَجْتَ مِنْ رَحِمِ وَاحِدَةٍ  
 أَلَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَا تَعْرِفُونَ الْبَاطِلَ؟  
 وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَابْطَالِكُمْ لِلْحَقِّ؟“

ليس للشاهد أن يرجع  
ولا للغائب أن يختار  
ودمعي الذي تحجر  
لن يعود إلى سنة الماء  
إلا حين يعود الشهود إلى ديارهم  
وتكف سليمة عن حرق العالم بدخانها الحزين  
ويفرح إبراهيم لأن الأضاحي هبطت في قلوب النساء  
القلوب التي أصابها العمى جيلاً بعد جيل  
تبكي  
ينهمر دمع أمّتك  
ويُمسك عليّ بمبايعيه ليحملهم وصيته الأخيرة:  
”بأنهم بعضه وبعضه لا يزول“.



## عيد الغفران

وقفتُ أمامَ الله  
مُحْنِيًّا بِمَا حَمَلْتُ مِنْ حِمْلِ هَاجِرٍ  
أَبُوْحُ لَكَ بِمَا اقْتَرَفَهُ قَلْبِي لَعَلَّكَ تَغْفِرُ  
وَسْتَغْفِرُ  
لَأَنَّكَ الْعَارِفُ أَنْتَ وَهِيَ بِقَلْبِي  
كَنتُ أَغْفُلُ عَنْهَا بِتَلْبِيَةِ نَدَائِكَ  
وَأَتْرُكُهَا هُنَاكَ  
تَذْوِي بِالْإِنْتَظَارِ  
وَلَمْ تَعْرِفْ أَنَّ إِنْتِظَارَهَا سَيَوَلِّدُ الْمَاءَ  
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِكَ يَا هَاجِرَ مَنْ كُلِّ أَيَّامِ إِنْتِظَارِكَ  
وَأَعُوذُ بِصَبْرِكَ يَا كَبِيرَ

يا مُعلنًا  
أيّام الغفران لمُحيّيكَ  
وليست هي تعرف  
أنّني مفارقُها عنوةً  
مشتتًا بين الشّباث  
وسارة التي أنجبت أعيادي الصّاحبة بالسكون  
ولست أقسى عليها منّي  
يا ربّ اغفر  
كم كنتُ أنايّا  
وكنْتُ بخيلاً على ولدنا  
وكنْتُ يا ربّي كريماً معها  
كريماً مع الأرض  
كريماً مع سُقم عبادك  
من أنا تسألني هاجر؟ ولماذا اصطفتيني  
قلت لي أنتِ أمّ الله؟!  
فعليّ أن أختار  
وما عرفت أنّ الله هو، هي، وهم

وكنْتُ هيكلاً أمانيك  
أتضرَّعُ بشفاعته أن يدنو منكَ  
وكنْتُ أقول حينما أتنفَّسُكَ برئات البلاد  
العبقُ يحتجُّ على مسامات جسدي  
وعلى بياض الرَّاقي في عُنُقِكَ المشدودِ إلى أهْدابي  
وتقولُ: ”سأعبدُ الله الذي يختبئ فيكَ“  
لكنكَ تتركُنِي  
غريبةً

قبل طلوع الشبَّاث<sup>١</sup>  
تختفي في أزمنة ضيقي وحسرتي  
وأصرُخُ بكَ  
ويسمعُنِي اللهُ الذي اتَّخذته ملاذاً لِتُنكر أمومة  
قلبي لك  
وقلتُ له:

---

١ الشبَّاث: هو اليوم السابع في الأسبوع العبري ويبدأ من غروب الشمس في يوم الجمعة إلى ما بعد غروب الشمس في يوم السبت. وهو يُعدُّ يوماً مقدَّساً لليهود وموصى عليه في الوصايا العشر، وهو يوم الراحة من الأعمال والاحتفال الديني. ويحرم مزاوله الكثير من الأعمال اليومية كحمل النقود وإشعال النار الخ...

”لماذا تقف بعيداً عن الفرات وتختفي

في أزمنة النكبات؟“

لكنك تروّض صبري عليك

وأقول لك يا داود جئتني وقد تأخّر الزمان

على زواج الأديان

ولينزل المطر في وحشة الكنيس<sup>١</sup> المهجور

لا تجعلني غباراً أمام روحك

رياحك ستثار في المزامير من ابنة بابل اليتيمة

ومن روحها المهذمة

فلا تكنسني غباراً عن روحك

أردتُك أن تكون كاملاً بصلواتي فلا تسقني

الخلّ لتكدرني بالعطش

هل نسيت في ظلمة الأيام هناك في العراق الظالم

كنت أرفع الظلام بنور عيني لأخفيك من عيونهم

وأشرق عليك لأرفع المحن

أتنفّسك

---

١ الكنيس: هو مكان العبادة لأصحاب الديانة اليهودية التوحيدية.

حتى تحلّق رئةً عاطلةً  
فأمنحك الهواء  
وأدري أنه المستحيلُ  
لأنّ صلاتك مرهونةٌ بالتأويل  
وخارج تلك الممالك التي شيّدتها  
تظلّ هاجرٌ حائطٌ مبكى  
وورطتك التي  
ورثتها سوطُ البابليين  
ليضربَ عنقها وهي تهوي إلى قبرها،  
حاملةً سرّ قلبك الذي لن يبرأ من اليتم  
حتى لو صمّدت طوال شبّات عمرِكَ كله  
لأنّك أضعت الله في عينيها المملوءتين بحدسِ النبيّات  
زمن هاجر لن يعود  
لأنّك قربانها الذي تأخر  
ونحر العشق تحت خرافةٍ لا أكثر ولا أقلّ.

## مشتت في الشتات

تَضْرِبُ بعصاك يا موسى كي تفتَحَ للربِّ طريقاً  
يدخُلُ منه إلى ورطة أبنائك  
لكن العصا تخذلك فتلتفُّ مثلَ أفعى لتُغمضَ عينك  
شَتَّتَكَ أحابيلُ شهوتك  
شَتَّتَكَ رغباتك في التقاط الأرض كلها بكفٍّ واحدةٍ  
بامتلاكِ بساتينِ جنةٍ في عالمٍ ينقرضُ  
مُشَتَّتٌ أَنْتَ في الأنانيَّةِ  
وفي نزواتك يا إبراهيم  
يصرُخُ بكَ الربُّ:  
”لا تُقَوِّلني تعاليمَ لسانك،  
ولا تمشِ بي إلى دنيا لُعوبٍ وحدثها لاختبار صبرك

وعدلك  
ونبوءتك  
ورحمتك  
وصدقك  
وأمانتك“

هل سحبتك الدنيا إلى طاولة ثمارها؟!،  
إلى لعبة قمارٍ مهما مَلَكَتَ منها،  
وربِحتَ فأنت الخاسرُ الأوَّلُ  
ولن تكون المُغامرَ الأخيرَ  
لن تشبَعَ مهما مَدَدْتُ لك من الأعْطِيَاتِ  
لأنَّكَ فَقَدْتَ مِيزَانَ قَلْبِكَ  
ورجُمْتَهُ بالنسيانِ  
لن تشبَعَ يا ابن آدم  
لن تشبَعَ من أكلِ قلبِ هاجرٍ  
ولن ترتوي من دمهِ الذي يسيلُ في أقْداحِكَ الآنَ  
لِتَشْرَبَهُ نَبِيذاً  
طالما انسكَبَ رَغماً عن كَفِّكَ الحَامِلَةِ لِلْأَيَّامِ

لن تقدِرَ أن تُمسِكَ بالنبيد  
دُمُّها جَرَّ  
لعنةٌ سَطَّارُكَ في الحلم  
وتصحو لتجدَها  
مَيِّتَةً بقربِكَ  
تحاولُ أن تقبَلَ عَيْنِهَا  
ولن تقدِرَ يا إبراهيم  
لأنَّكَ لن تجدَ غيرَ ترابٍ يملأُ وجهَكَ،  
وفمَكَ،  
وعطرَها الذي لن ينتمي بعد الآن إليك.



## يحيا المنتظر

يُسَمُّونُهُ الْمَهْدِيَّ  
يُسَمُّونُهُ الْمَسِيحَ  
يُسَمُّونُهُ عَيْسَى  
وهو لن يَحْمَلَ غَيْرَ دَمِكَ  
لن يَرْضَعَ إِلَّا زَمْزَمَ  
لم يَكُنْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيٍّ  
يا إِبْرَاهِيمُ  
أَبَانَا فِي الشَّتَاتِ هُنَاكَ  
نَاوِلْنِي لُقْمَةَ الْحَبِّ  
لِيُصَلِّيَ فِي رَحْمِي  
كُلُّ مُنْتَظَرٍ

وكلُّ مسيحٍ  
 وكلُّ مهديٍّ  
 ناولني ولا تخفْ منه  
 لا تخفْ منها  
 ولا تخنُقْ رِعدةَ الخَلْقِ هذه  
 إن لم تفعلها  
 فهو قادمٌ لا مَحالةَ  
 منذ آلاف الأعوام وهو طفلٌ يرقد قبل ولادة ابن مالك<sup>١</sup>  
 وقبل ولادة يعقوبَ  
 قبل أن تحبل سارةُ بفتنة الأحفادِ  
 والقبائلِ  
 وقبل أن تخترع التوراةُ لإِستير<sup>٢</sup> دوراً بطولياً  
 في خلاص اليهود  
 وقبل أن تخترع الأناجيلُ دوراً للمريم لتنجب الربَّ

- ١ ابن مالك: إشارة إلى مؤسس المذهب المالكي الذي أجاز حسب القاعدة الفقهية شرعية نسب حمل المرأة من زوجها المتوفى أو طليقها حتى لو مضى على انفصالها عن زوجها أو ترمّلها أكثر من عامين.
- ٢ إِستير: هي إحدى الشخصيات النسائية التي ذكرتها التوراة.

في دُور الغواية  
وقبل أن تختَرعَ لإبراهيمَ دُورَ الخليلِ  
فِيحْيَا حَيِّ وَقَادِمٌ  
حَتَّى وَإِنْ هَرَبْتَ مِنْ هَاجِرِ ثَلَاثَةِ آلَافِ أَعْوَامٍ قَادِمَةٍ  
يُسَمُّونُهُ الْمَهْدِيِّ أَوْ الْمَسِيحَ  
وهو لم يَحْمِلْ غَيْرَ نَبْضِي  
وماؤُكَ أَنْتَ  
أُرِيدُهُ قَبْلَ الْأَوَانِ  
أَنْ يُبْعَثَ فِيكَ  
قبل أن تختَرعَ له أوهامُ الشعوبِ وأديانُها  
اسمًا جَدِيدًا ودورًا جَدِيدًا  
وبين الأسماءِ والأطوارِ والأدوارِ  
يَحْيَا يُحْيِي الْأَسْطُورَةَ،  
وَيَنْزِعُ الْغِيَابَ  
فَيَوْلِدُ مِنْ رَحِمِ عَيْنِكَ  
التي تنام في عيون هَاجِرِ  
خَلِيلَةِ إِبْرَاهِيمَ وَوَالِدَةِ مُخَلِّصٍ لَنْ يَجِيءَ.

## يا ربّ إبراهيم

أَسْتَوْدِعُكَ مَا عِنْدِي فَاحْفَظْ وَدِيعَتَكَ  
احْفَظْهُ مِنْ أَجْلِ خَلاصِ شَعُوبِكَ الَّتِي نَشَرْتَهَا فِي أَرْضِكَ  
مِنْ أَجْلِ هَاجِرَ  
رَحِمُهَا تَنْتَظِرُ مَاءَ الْفِرَاتِ  
فَلَا تُمَكِّنِ الدَّاءَ مِنْ إِسْحَاقَ  
فَانْزِلْ بِعَطَايَاكَ  
فَمَا زَالَتْ هَاجِرُ تَشْعُ بِأَجْنَةٍ حَفِظْتُهَا فِي أَلْوَاكِ السَّنَوَاتِ  
لَتَصُدَّقَ نُبُوءُكَ فِي كِتَابٍ  
آمَنَ بِهَا قَوْمُكَ  
يَا رَبَّ إِبْرَاهِيمَ  
حَبَلْتُ هَاجِرَ حِينَمَا حَلَمْتُ بِالْجِدَارِ

وَأَمْسَكَتْ بُعْنَقِ رَجُلِهَا وَقَالَتْ عَلَيْكَ أَنْ تَفِي بِنَذُورِ اللَّهِ

فَلَا تَدْعُ رَحِمِي عَابِرَةً،

وِخَاوِيَّةً،

فَارِغَةً،

يَتِيمَةً

لِيَحْفَظَ فِيكَ الْمَوْحِدِينَ

وَلِيَقْدِمَ وَلادَتَهُ إِذَا نَا بَفَجَرِ الْخِلَاصِ“

قَبِّلْنِي

لَا

لَا تَقَبِّلْنِي

اقْتَرِبْ

لَا تَقْتَرِبْ

لَأَنْ مَخَاضِي سَيَكُونُ عَسِيرًا عَلَيْكَ

فَأَنْتَ الْغَائِبُ بَيْنَ قُدْسٍ وَأُورُشَلِيمَ

بِشَارَةٍ لِلْعُودَةِ إِلَى هُنَاكَ

وَأَيْنَ الْهَلَاكُ؟

أَيْنَ...؟!

تَوَكَّلْ عَلَىٰ قَلْبِهَا الْأَبْيَضِ  
تَوَكَّلْ عَلَىٰ رَبِّكَ وَاصْعَدْ  
اصْعَدْ يَا إِبْرَاهِيمَ  
قَبْلَ أَنْ تَأْكُلَ الصَّحْرَاءُ رَمْلَهَا.  
قَلْبُ هَاجِرٍ  
يُغَيِّبُ الْمَخْلَصَ فِي غِيَابِهِ  
لِيَكُونَ وَصِيًّا عَلَىٰ قِيَامَةِ أَنْجَبَتِنَا سَهْوًا فِي هَذَا الْعَالَمِ.

## أَرْضُ المِيعَادِ

أهذه أَرْضُ المِيعَادِ التي حَدَّثْتَنِي عنها؟!  
وَقَلْتَ إِنَّ الرّبَّ أَوْصَاكَ بِتَرْكِ أَوْرٍ مِنْ أَجْلِهَا؟!  
أهذا هو الحِجَابُ؟  
كَلَّمَا هَمَمْتُ بِكَشْفِهِ  
تَنَفَّسْتُ اللهُ؟!  
بِكَ وَإِيَّاكَ  
صَلِّ عَلَيَّ  
لَكِي يَمَزِقُ اللهُ حِجَابَهُ  
كَلَّمَا صَلَّيْنَا فِي أَرْوَاحِنَا  
كَلَّمَا بَارَكْنَا مَطَرًا لَنْ يَهْطَلَ إِلَّا فِي كَفِّ الْمُؤْمِنِينَ  
كَلَّمَا انْقَشَعَ السَّوَادُ

حتّى تراءى

هناك

صوتاً...

”اصبري يا هاجر

إنّه فينا،

تمسّكي بي،

انظري،

إنّه يحضن كلّنا،

وهمّنا،

غوصي يا هاجر في دمعي

كلّما مارستُ وإياك طقس الحجّ هذا

وصلّيتُ

امتلكْتُ اللهَ إلى أبد الأبدين.“



## قرين قلبي

إبراهيمُ حضرَ بينَ يدَيَّ هاجرَ  
بعدَ غيابٍ مشلولٍ  
هاجر: ما بالُ عَيْنِكَ تَحْمِلَانِ جبالَ الهمِّ؟!  
ما بالُهما وهما غارقتانِ في سؤالٍ يتردّدُ  
على شفتَيْكَ وتُخفيه؟  
كلّما أوْهَمْتَ قلبي أَنَّ أشياءنا لم تتبدّل  
وَأَنَّ شَهْقَتَنَا كطفلينَ لَمْ تَشِخْ وَلَنْ تَكْبُرَ إلا  
دهريْن من العشق  
كلّما فتحتُ عَيْنِي في عَيْنِكَ  
تَجِدُنِي محاصرةً بذاك الهمِّ الذي تحمِلُهُ عيناكَ  
العالمُ يدورُ والناسُ الذينَ يمرّونَ بنا لا نراهم لأنّنا

اخترنا رؤية العالم الذي يَحْمِلُنَا  
إبراهيمُ يا حاملَ رُوحِي  
خُذْ حَيَاتِي كُلَّهَا  
ولا تَغَامِرْ بعيداً عن نُسْغِهَا  
فهل أنت قادرٌ على حَمْلِهَا الليلة؟  
”هاجِرْ، أيتها الحمامة التي تضحك كلما شَدَدْتُ  
من سَكِينَتِي زِدْتُ مِنْ غُنْفِهَا على رُوحِكِ غيرِ العارِفَةِ  
بما يجري“

ما الذي تبدّل يا إبراهيم؟  
لا، يصرخُ بها قرينُ قلبِها  
رجلُها المهدودُ والمهدّدُ بكمَدٍ مجهولٍ  
لا يا هاجر لك اللهُ والأطفالُ والشعبُ الذي ينتظرُ  
خلفَ بوابات الأمل  
هناك

أين ولماذا؟  
ما الذي تغيّرَ يا حياة هذي الحياة؟  
لا أريد للتوراة أن تُعَمِّدَ بحزني

ووهمك على رجلٍ ضلَّ طريقَ قلبك  
وتاهَ في حُفِّهِ القريبِ.

لا

لا لا تُكْمِلْ

فالله أعطاك إشارته فلماذا تقفُ بوجهه شاهراً يأسك؟  
هل أنت أنت؟

أم تذكرت أن لا حياة لك إلا هناك...

بينها وبين أرض الميعاد وبين الوعود  
والحفل الكبير لقرارك بنسياني ساعة تشاء  
وإغلاق صحيفة كتبها الله على يمينك وأشار إليك  
وأنت صدقت

وحلّمت

وضحكّت

وانتشيّت

وحملت هاجر بكلّ ذلك

فلماذا تجهضُ ربنا الذي استعاد بنا وجهه السماويّ!!!  
وكان فرحاً وهو يجهّزُ لنا طعامنا البابلي

وييني في ضمائر قبائلنا هناك  
في أور ييني لنا بيتاً لا يتصدّع  
ولن تُكسّرهُ عاصفةُ الجهلِ  
”ولكن يهاجر

كلّما أمسكتُ بروحكِ قلّبتني الدنيا،  
وأشارت لي الأقدارُ بأنّنا مثل سكةٍ طريقٍ،  
لقطارٍ جاء حينما فات الزمان وتأخّر العمر.  
خطّان متوازيان

لن يلتقيا يهاجر

لكنهما يا إبراهيمُ لن يفترقا أبداً“

لماذا يفعلُ بنا كلّ ما قد فعل؟!!!

لم نصدّق أننا طويّنا من تاريخِ كتبكِ عذاباتِ التيه  
واجتمعنا بنا حتى وإن كنّا على حافة الأوهام  
فلماذا تقسو وأنت الرحيمُ الرحمنُ وتذلّنا

بالخوف من غدٍ

غدٍ قد يتأخّر وقد لا يجيء

إبراهيمُ تعالَ فقلبي أصمّ

تعالي يا هاجر... لأمنحه نبضي  
 من جديد معافى من كل وسواسٍ وهمٍ.  
 "حلت عليك محبتي"،  
 حلت عليك كل آياتي.  
 ليباركك كل أبٍ  
 وكل ولدٍ  
 وكل نبيٍّ  
 وكل امرأةٍ حبّلت بالدعاء إليك  
 وكل طفلٍ يحمل غصناً من نارنج<sup>١</sup> البلاد التي تنتظرُك  
 ومن حداثق روحك على فم الفرات  
 جاء الله لك  
 بحوريّة عُمرِكَ  
 لا تذبّحها يا إبراهيم  
 لأنّك إن فعلتَ  
 ذهبت إلى حتفك وحيداً

١ النارنج: فاكهة أشبه بالبرتقال طعمها يشبه طعم الليمون يسمونها في لبنان أبو صغير.

تَعُومُ فِي بَحْرِ مَالِحٍ

مَيِّتٍ

هُوَ دَمْعٌ هَاجَرَ الَّتِي ذَبَحَتْهَا بِهِمْ عَيْنُكَ.

## مَنْ كَانَ أَعْدَلَ مِنْ قَلْبِكَ؟

صَحَتْ مِنْ إِغْفَاءِ تَهَا هَا جَر  
كَانَ أَوْلَادُهَا فِي كَهْفِ النُّومِ الْقَدِيمِ  
قَبْلَ أَنْ تَغْسِلَ وَجْهَهَا بِالْدَعَاءِ  
ارْتَسَمَ وَجْهُ إِبْرَاهِيمَ فَوْقَ مِيَاهِ الْفِرَاتِ  
قَالَتْ لَهُ وَهِيَ تَهْمِسُ فِي قَلْبِهِ:  
”الزَّمَانُ تَبَدَّلَ  
الدُّنْيَا تَغَيَّرَتْ،  
فَايَسْبُوكَ وَإِنْتَرَنَ وَطَائِرَاتٌ وَحُرُوبٌ إلكترونيّة،  
الْأَطْفَالُ مَا عَادُوا هُمُ الْأَطْفَالُ،  
البناتُ،  
النساءُ،

ما عُذْن هُنَّ.

الرجالُ وحدهم لم يتغيروا  
فلا بُدَّ لي أن أجلسَ وإياكَ لنقرَّ حريَّةَ البقاء،  
أو احتمالاتِ التبدُّل.

لا بدَّ لك أن تجيبَ أسئلتي  
أعرفُ قُلْتَ لي ”اتبعيني ولا تسألي كما أنا فعلت“  
هل كان الجلدُ الفائضُ في جسد الأولاد أو الرجال  
أعني ختانهم هو قضيةَ الله في كتابه الأول والأخير؟  
هل كان الله حقاً منشغلاً بهذا الأمر؟!!!

أم كنت تتلو علينا تعاليمَ شهوتِكَ لتكبرَ فحولتِكَ؟  
وفحولةُ شعبِكَ وذريَّتِكَ،  
أم لتُنجبَ كلَّ يومٍ هاجرَ أخرى لتذبحني بالهجر هناك،  
في رمال جزيرة العرب،  
حيث كعبتني التي شيَّدتها بصبري عليك،  
وقسوتِكَ عليَّ؟

حفيداتي اليومَ خائفاتُ هناك  
يكْبُرْنَ قسراً على سوط رجالٍ يُمسكون برَبِّكَ عُنوةً



ويأسرون أحفادنا في مواسم الحجّ الذي

حوّلنا إلى سبايا

في بازارٍ للتجارة تحت سُلطة الله

والدين

دينك ما عاد دينك يا إبراهيم

ما عاد يُشبهُني.

فلماذا تصلّي للصمت؟

لماذا لا توقظ صمتَ إسحق،

صمتَ يعقوب،

صمتَ موسى،

إسماعيل،

صمتَ عيسى،

صمتَ محمّد؟!!!

فهل حالنا تبدّلت؟

أم حال الدنيا؟

أم حال الدّين؟

قلت: "أنت الوحيد الذي ولدت يوم مُتّ،

ويومَ عبدتَ اللهَ الذي وجدتهُ أخيراً،

نائماً يقظاً في قلبي“.

حبُّ هاجرَ غيرَ المشروط،

وحبُّ الله،

حُبَّان يجتمعان في عينيك.

وحدهما عيناك القادرتان على قراءة أسئلتي المُرّة.

هل عرفتَ ندمي عليك؟

وقلقي عليك؟

أحببتك أم لم أحبكَ ليست هي المعضلة،

ليست هي الرهان.

هل قرأتَ سؤالي الذي سيطرُح رجولتكَ

في ميزان الشكِّ

يا أبا الأنبياء؟

فكيف بنبيٍّ لا رجلٍ يرمي بزوجهِ الى فكِّ فرعون،

ويُنكرُ رِباطَ الأرضِ والعِرضِ، رِباطَ الحبِّ،

كيف؟

مَنْ كَتَبَ القِصَّة؟

فأنا لم أشهد إلا رجلاً يغار على مَنْ يقترب من قلبه  
فهل كانت الصحراء أرحم من قلبك؟  
وهل كان فرعون أعدل من نبي الأنبياء؟!!!

## قاحلة أنا وأنت زمزم

لا تَغْضَبْ يا إِسْمَاعِيلَ  
ولا تَحْسُبْ خطواتِ أَيْيَكَ بِالرَّمْلِ  
لا تَحْتَجِّ فَإِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُكَ،  
وَيَسْمَعُ رُوحِي الَّتِي تُحْتَضِرُ.  
أَعْرِفُ أَنَّكَ عَطِشٌ  
وَأَنَا قاحلةٌ فكيف أَكُونُ الماءَ؟  
أَعْرِفُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَعَدَنَا الْكَثِيرَ،  
وَكُنْ دِرْعاً ضِدَّ سَهَامِ الْغَدْرِ،  
وَطَبَاعِ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تَرَحَّمُ.  
كَانَ يَشْتَرِي بَنَى حَرِيَّتَهُ  
حِينَما مَضَى وَإِيَّانَا إِلَى وادي النجاة

فلماذا تَغْضَبُ يا إسماعيل؟  
لا تبكِ لَأَنَّ اللَّهَ هُوَ اللَّهُ  
ونحن ورَثَتُهُ الَّذِينَ لَا نَعْرِفُ كَيْفَ وَمَتَى نَسْتَعِيدُ الْأَمَلَ؟  
لكنّها الصَّحراءُ وَالوادي الْيَتِيمُ  
مِثْلُنَا يا وَلَدِي  
قلت لَكَ لَا تَغْضَبْ  
فهو أبوكَ وَحَامِلُ نَبْضِكَ حَتَّى وَإِنْ غَابَ فِي الضِّيَاءِ  
وصارَ مُحَضَّ ذَكَرِي  
وَذِكْرِي  
واضعاً بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ حِجَابَ الْوَادِي،  
مُؤَسِّكاً هُوَ بِقَلْبِهِ  
فاختارَ رَبَّهُ  
الَّذِي أَرِيدُهُ أَنْ يَرْقِي جَفَافَكَ بِالْمَطَرِ  
أَوْ بآذَانٍ تَسْمَعُكَ  
لَا تَغْضَبُ يا إسماعيل  
وَأَنْتَ تَبْكِي

وتُخفي دموعَكَ في حجرِ المَرُوة<sup>١</sup>  
وأنا أختفي خلفَ الصفا<sup>٢</sup> لأمسح دمعَاتِكَ  
التي كَسَرَتَنِي  
وأحلبُ دُمُعِي بين صخرةٍ وأخرى  
حتَّى لا يغضبَ مِنِّي قلبُ إبراهيمَ  
ويقولُ إنَّني بحزني قد عَصَيْتُ اللَّهَ.  
وأحبُّهُ،

وكلُّ ما أستطيعُ فَعَلَهُ هو انتصاري عليكِ بالماءِ.  
ولكن أين الماءُ؟

أين الله؟

أين إبراهيمُ؟

أين أنا؟

أين العِشقُ والشَهَقَاتُ؟

لماذا وكيف؟

---

١ المروة: المكان الذي كانت تدور فيه هاجر حينما تركها إبراهيمُ وولدها إسماعيلُ وتحولَ إلى مكان ذي رمزية عالية مقدسة لدى المسلمين.

٢ الصفا: إشارة إلى المكان الذي لجأت إليه هاجر وولدها والذي تحولَ إلى مكان مقدس لدى المسلمين أثناء أداء شعائر الحج والعمرة.

هل كان إبراهيم خائناً وكنت أنا عمياء،

لا أرى ما يراه قلبي؟!

ولكن يا الله أين هو قلبي؟

أين هو الماء؟

أين إبراهيم؟

لا يا هاجر...

إنّك تخونين الإيمان بالجزع

ولا تبصرين إلّا من خلال قلبٍ غادرٍكٍ وغدرٍ بكٍ

هاجرُ ستكونين أمّ الأنبياء،

وستنجبين المياه.

لأنّ الصخرَ يسجدُ لعذابك،

لغضبِ إسماعيل.

إنّه هناك

يا ليتك سمعتِ!!

أو تسمعين.

- أين؟

- لا تُخجلني بسؤالك

أنا المُبتَلّاةُ بحكمةٍ لستُ بقادرةٍ على استيعابِها  
السَّماءُ تشهقُ وتهطلُ بدموعِ النساءِ المغدوراتِ،  
الأمّهاتِ اللواتي يُنجِبنَ لِيُقتلَنَّ في الهجرِ،  
مثلَ هاجرَ لم تعد الحياةُ تساوي القِسمةَ  
على قلبِ إبراهيم  
الحياةُ دعاءٌ لهطلِ المطرِ.

لن ينزل أبداً  
فالأرض احتجّت على السَّماءِ البخيلةِ،  
وبادلت صبرَ هاجرَ بموتِ الصحراءِ،  
لينقشَ الحجرُ ماءً زلالاً.  
ينتصرُ لقلوبِ الأمّهاتِ.  
إسماعيلُ خانتكَ هذه الدنيا  
لكنّ اللهَ لم يترك نبيّه وابنَ نبيّه  
أنتَ

أينك؟؟!!  
أمّاهُ إنّه يسمّعني،  
فكفّي عن الكلامِ.



نعم

ماذا؟

هو

مَن؟

ربُّ إبراهيم.

نعم،

إنَّه يسمعني،

ويبكي معك

انظري... أمَّاهُ هناك.

أين؟

في الحجرِ الأسودِ.

ماذا هناك؟

هناك قلبُك الذي تركته لدى أبي،

يُعيدُه إليك،

متوجَّاهاً ببيتِ اللهِ الحرامِ.

## وجهي

”وأنا أُمسِكُ بوجهك،  
أختطفُهُ في أسْرِ يدي.  
تتكوّرُ السماءُ بين راحتيَّ  
وتُعلنُ دينها الجديد  
حينما أُمسِكُ عينيكِ يديرني  
سوادُ العراق،  
بأحداقك أُمسِكُ العالم،  
أُمسِكُ بابلَ،  
ثانيةً  
وبأورشليمَ للمرّةِ الأخيرة“.

يا إبراهيمُ

لم يكن وجهي .  
هذا الذي كان بين سجن يديك  
يتجلّى  
كان هو  
الذي عقد قرانَ روحينا في روحه  
كان  
اللهُ الذي اختبأ من كلِّ الحروب ،  
اللهُ الذي التجأ إلى وجهي لئريك ،  
نفسك ،  
وقلبك .  
حدِّق ... أجل اصعدْ  
نعم  
واعذرني من زحام الحسرات في فمي  
ومن زلازل تحيُّ بيديه ،  
بيدك .  
يشهدُ عليك اللحظة ،  
ولدنا إسماعيلُ ،

وإسحق ويعقوب.

تشهدُ عليكَ نفسُ يوسفَ وحُسنُهُ،

يشهدُ وجهي عليكَ ومحمّدٌ وأمّ عيسى وابْنُها،

فاللَّهُ يقرأُ خطابهُ الأخيرَ في واحةِ هذا الوجه

ويقولُ لنا: "امضيا لا تتردّدا في صلاة الغائب الأخيرة"

وجهي يتوضّأ بماءِ عينيكِ

وأنتَ تكابدُ جسدي في نفسي وتصلّي.

قاسمتُك الدّينَ والدّنيا هناك في أور<sup>١</sup>

نعم لم أكن يا إبراهيمُ أمةً كما صوّرنِي شعبُك

أنا نبيّةٌ زمانك الملعون.

لا تُضيّعُ فرصةَ الدّهر

وأمسِكْ بإشاراته أمسِكْ وتمسّك بها:

المزاميرُ،

والأناجيلُ كلّها تتجلّى في هذا البرق،

عيناي،

تُحبّلان به.

---

١ أور: إشارة إلى مكان ولادة النبي إبراهيم حسب الرواية التوراتية.

لا تُجهِضْني بالفرح،  
لَكَمْ قَلْتُ لَكَ إِنِّي مِنْ هُنَاكَ مِنْ أَوْرَ الْمَدِينَةِ الَّتِي  
تَخْشَى الْفَرَحَ.  
وَمَا الْكُتُبُ الَّتِي تُعِيدُنِي إِلَى خَتَمِ فِرْعَوْنَ مِصْرَ،  
تَكْذِبُ...  
أَجَلْ،  
اسْأَلْ عَيْنِي،  
وَحَدِّثْ فَمِي بِكُلِّ آيَاتِ رَبِّكَ  
وَأَنْسَ.  
وَأَغْفِرْ لَكَ  
أَشْهَدُ عَلَيْكَ قَلْبِي  
حَكَمًا وَحَاكِمًا  
يُسَمُّونَهُ اللَّهَ أَوْ الْإِبْنَ أَوْ الرَّبَّ لَا فَرْقَ  
يَا أَبَا الْأَنْبِيَاءِ خُذْ وَجْهِي بَيْنَ شَفَتَيْكَ  
وَلَا تَخْزِ أَنْفَاسِي  
وَلَا تُخْزِ رُوحِي بِعَقْلِكَ الَّذِي لَمْ يُغَادِرْهُ الشَّيْطَانُ  
خُذْنِي

ولا تأكلني

لا تأخذني

لكن

نعم

لا

فالله يكتبُ جملته الأخيرة

فاحفظها يا أبا الأنبياء

إنها هاجر،

أم الأنبياء،

حبيبة إبراهيم،

وأم النبي المخلص،

والغائب الذي زرعته فيّ.

المسيح الذي يحضنُ وجهي قبل شفيتك،

وعيني التي تحضنُ عينيك،

تلك التي ستصدقُ نبوءة هاجر لا غير.

## صرخت هاجر

لا تخف، لن أرميك للعطش  
ولا لقسوة الرمال وجحيمها.  
أنا امرأة معجونة بالقلق،  
لأنني خرجت من رَحِمِ تلك البلدان غير الرحيمة.  
فعليك أن تفهم  
ما معنى أن يكون حليبي مرّاً  
يخاف على بياضه من عسلِك المملوء بالآبر.  
هل فهمت الآن؟  
لم تُكْمَلِ هاجر حتى انْهال عليها إبراهيم معاتباً،  
غاضباً لأنها أخرجته من هويّة أرضها،  
أرضه.

تصمتُ هاجر فتسحبُها ريحُ إبراهيمَ فترمي بها  
في لزوجةِ هذا العسلِ  
من يدري؟  
لكنّها تدركُ مكرَ القلوبِ وشهوَتها  
العسلُ يلتصقُ ويُلصقُ هاجرَ بثوبِ إبراهيم  
حتى وإن أقسمَ لغريمِتها سارةَ أنّه قد ألقى بها هناك  
بين صفا النسيان  
ومروءةِ الهجر  
من يدري تقولُ له هاجر؟  
إذا أشعلتني بزيت هذا العشق،  
قد أنيرُ لك ظُلْمَةَ شعبك،  
وقد تهيمُ أنتَ والضياءُ،  
تشربُ حليبي شهوةً،  
وحينما تجفّ آخرُ قطرةٍ،  
تتركني رماداً...،  
تخطُّ به تعاليمك السماويةَ  
وتنسى أنني شريكُك في شبّاث،



أردتُه وطناً

لي

لنا

لكنّ الأديانَ ابتلَعَتْهُ وحوَّلَتْهُ إلى

محضِ شتاتٍ.

## من ولاك قلبه

كنا نقفُ في حِصْنِ الفرات  
ونشهقُ باللهِ الذي يمشي بنا  
وبالماءِ لبّيك... لبّيك  
نتوضّأُ به من ماضٍ  
كان مضيئاً بنا  
وبالظلم  
وحاضرٍ يولدُ لنا بلداً ميّناً  
وفجأةً أراك الآن في الضفّة الأخرى،  
تبني بسوءٍ عشرتك لي،  
سداً بعد سدٍّ  
وأصرخُ بك صامتةً،

ماذا عساكَ تفعلُ؟؟

لا لا يا إبراهيم لا تحفر قبراً  
كلُّ من بنى سداً على نهر الفرات،  
استباح الحياة،

وقد يشيخُ قبل الأوان،

ليودّع أعزَّ ما ملك،

وقد يحصّدُ الهَمَّ،

ليغدو الأرقُّ صاحبه،

وطريده النوم.

أعددتُ لك في كلِّ وصيةٍ،

إشارةً تحميك،

تُنجيك،

وأنت...

كَمَنْ يَمْلِكُ ثم يُقفلُ بالغرورِ على من ولّاك قلبه.

قلتُ لك توقّف...

وأنت تشوي التراب،

وتُذلّ الشمسَ لكي تُنجبَ لك الطابوق،

فالسَّرُّ، والسَّدُّ والْفَضَّةُ التي تنتظرُها وأنتَ تزرعُ

أَرْضَ الْفِرَاتِ،

تَسْخَرُ مِنْكَ

وَتَظَلُّ تُعِدُّهَا وَتُعِيدُهَا

وَأَنَا

أَقُولُ لَكَ

حِينَمَا يُخْصِبُ الْفِرَاتُ أَرْضَكَ بِالْمِيَاهِ،

لَا لَكَ تَحْصِدَ فَضَّتِكَ الْمَرْتَجَاةَ،

بَلْ لَتُعَمِّرَ الْأَرْضَ بِالْأَمَلِ.

بَنَوَايَاكَ،

وَلَا تَسْخَرُ مَمَّنْ وَلَّاكَ قَلْبُهُ.

لَكِنَّكَ ابْتُلَيْتَ بِالْجُوعِ،

وَعِبَادَةُ أَيَّامِكَ الَّتِي تُحْصِيهَا كَمَا تَعْدُ نِزَوَاتِكَ وَزَوْجَاتِكَ.

وَأَنْتَ تَبْنِي السَّدَّ،

لَا تَدْرِي أَنَّ الشَّمْسَ تَتَأَمَّرُ عَلَيْكَ،

وَتَعْقِدُ حَلْفًا مَعَ الْفِرَاتِ الَّذِي يَغَادِرُهَا مِنْكَ.

وَأَنْتَ تَفْتَحُ عَيْنَيْكَ

وتضيعُ،

تتيهُ،

فلا الفراتُ هناكُ،

ولا سدُّكَ الذي تحوّلَ إلى سدوم<sup>١</sup>

ولا هاجرَ التي ملّتْ،

وأمسكتْ بآخرِ صباحٍ في بلادِكَ،

ذابت

و

تناثرتْ،

وردُّ عبّادِ شمسٍ،

في حقلين:

أرضِكَ التي تُحتضرُ،

والفضّةُ التي طوّقتْك وحوّلتْكَ إلى رمحٍ صديٍّ،

لأنّكَ تطاولتَ على حُرمةِ قلبِها،

١ سدوم: بحسب ما جاء في العهد القديم هي مجموعة من القرى التي حَسَفَهَا اللهُ بسبب ما كان يقترفه أهلها من مفاسد وفق ما جاء في النصوص الدينية. القصة المذكورة بشكل مباشر أو غير مباشر في الديانات السماوية (اليهودية، المسيحية، الإسلام).

هَاجِرُ التِّي أَبَتْ إِلَّا أَنْ تَكُونَ رَوْحُهَا غَمَدَ رَوْحِكَ،  
وَرُوحَهَا الْمَكْسُورَ.

## النبيّة المجنونة

بعد ثلاثة آلاف عام،

مرتديّة ذات الثوب،

ونفس الخمار،

وصلت هاجر تفتّش عن أولاد منتصف الليل<sup>١</sup>،

تفتّش عن خيوط سرّها،

دخلت وهي تُبصر كلّ شيء،

المشاهدين في صالة السينما، آخرين في شاشة القصّة،

ولا أحد يراها غيره.

١ أولاد منتصف الليل: إشارة إلى عنوان رواية أولاد منتصف الليل للكاتب سلمان رشدي التي تحوّلت إلى فيلم سينمائي وحصدت العديد من الجوائز المهمة في العالم.

”الله الذي فتح عينها“<sup>١</sup>  
أبقاها مفتوحةً إلى الأبد.  
أبصرته في السطر الأخير،  
من نهايات قصتها.  
تمشي فوق الحاضرين،  
وهو يصرخُ مذهولاً،  
محذراً إيّاها من غضب المشاهدين،  
وهي تمضي.  
وهو لا يعرف،  
أن لا أحد يبصرُ ما يبصران،  
غيرُ مجانينِ العصور كلها  
تمشي على رؤوس الحشود ثم تطير.  
ليس من أحدٍ سواه،  
هناك،  
يقول لها أنتِ يا أنتِ...  
ولا يسمعه أحدٌ غيرها،

١ يفتح عين هاجر: هذه عبارة موجودة في النص التوراتي إشارة إلى هاجر.



نعم،  
ذاتُ الثوبِ،  
وذاتُ الحزنِ،  
وذاتُ الخمارِ،  
ولكن...  
ما الذي جاء بك؟  
وكيف وصلت؟  
وكيف لا يصرخُ هؤلاء وهم يتحولون إلى أرضٍ وجسرٍ،  
لكي تعبري وتصلي إليّ؟!!!  
سيّد الأديان ونبّيّها  
”أتسأل وأنت العارفُ أننا محضُ رؤيةٍ تخرج  
من التاريخ؟!!!،  
وتبقى هناك تشهدُ كلَّ أهوائه،  
وأهواله،  
تشهدُ أنك لم تكنْ غيرَ شخصك الذي مات هناك  
قُرب قبرِ سارة،  
وأنّ مَنْ بقيَ معي...“

هو أنت...“

تعالى... إذاً

”لا تقلها...“ تهمسُ هاجر في وجه التاريخ

تعالى... يصرخ إبراهيم... يصرخ بأحفاده

فتجيب: ”ماذا بقي من الكون حتى أجيء؟!“

”بقي الكثير أيتها المجنونةُ بجنون الأنبياء،

أيتها النبيةُ الأخيرة،

أم الغائبين كلهم،

وأم قلبي اليتيم.“

تنفّسني

أجل

احضّني

عانقْ خوفي عليكْ

وخوفي منكْ.

كي لا تفعلها ثانيةً...

ولا تفعلْ...

افعلها، أسمعْ؟

أَجَلْ أَسْمَعْ...  
أَنَّا الشُّعُوبَ وَقَبَائِلَهَا كُلَّهُمْ،  
يَأْتُونَ... يَحْجُونَ إِلَى قَلْبِكَ.  
أَسْمَعْ،  
أَتَنْفَسُ قَلْبَكَ،  
الَّذِي يُعَاتِبُنِي،  
أَوْ يُعَانِقُنِي،  
يَقْبَلُ وَجَنَّتِي لِيُكْمِلَ،  
صَلَاتَهُ الْغَائِبَةَ.

نعم  
سَبِّحْ بِحَمْدِ وَصُولِي إِلَى عَتَبَةِ الْمَلَائِكَةِ  
حَيْثُ الْأَطْفَالُ لَا يُولَدُونَ فِي أَوْطَانِنَا إِلَّا فِي لَيْلِ الْحُرُوبِ  
وَحَيْثُ الْحُرُوبُ لَا تُولَدُ إِلَّا فِي رَحِمِ الْأَدِيانِ  
وَحَيْثُ الْأَدِيانُ لَمْ تَعْدْ هِيَ الْأَدِيانِ  
لِذَلِكَ وَصَلْتُ،  
وَصَلَّيْتُ،

وانتظرتُكَ كلّ تلك العصورِ،  
لأُمسِكَ في كَفِّكَ بقلبي،  
إِغْفَاءَتي.

وأعيدَ وإيّاكَ أَمِنَ الكونِ،  
وأغلقَ بابَ اللهِ بوجهِ سارقيه.

باب وصايا هاجر  
إلى إبراهيم الخليل



## اعملْ لدنياك

”اعملْ لدنياك  
كأنّك تعيشُ أبداً  
واعملْ لآخرتكِ كأنّك تموتُ غداً.“  
(عمرو بن العاص)<sup>١</sup>

عش يا حياةَ عمري لأجلِ روحك  
وادّخرْ أنانيّةَ الأبناءِ وتعلّم منها  
فكلُّ ما هو خارجُ إطارِ هذا القانونِ باطلٌ  
فتمسّك بالحقِّ بي أيّها النبيّ  
إنّها تعاليمُ حوريتك.

---

١ كنت أظنّ هذه المقولة هي للإمام عليّ بن أبي طالب ولكن حين أعدت قراءة كتاب الجاحظ البخلاء اكتشفت أن قائلها هو عمرو بن العاص.

## لا تُشركُ بي يا إبراهيم

فأنا الواحدُ الأحدُ

لقد مللتُ شركَ الأولياءِ

الأنبياءِ

العلماءِ

وهو حيثُ أراد أن يستبدلَ سارةَ بي

أو يتخذني أمةً

يا إبراهيم

سُبِّح بحمدي واستغفري على ما غبْتُ

أو صحوْتُ في الليل ولم تُكْمِلِ صلاتَكَ معي

صلِّ عليّ

وصلِّ بي



وصلِّ معي  
لا تُشْرِكْ بقلبي  
لا تُشْرِكْ بجسدي  
لا تُشْرِكْ بعمرِي  
ألا تسمع هذا الصوت؟  
”اللهمَّ خَلِّصْنَا مِنَّا فَإِنَّ الْأَسَاطِيرَ قَدْ بَلَغَتْ السَّيْلَ“.

## قبل طلوعِ الشبّاث

من أنا ولماذا اصطفتيني؟

قلتَ لي أنتِ أم الله؟

فعليّ أن أختار

وما دريتُ أنّه هو، هي، وهم

هيكُلُ أمانيكَ

الذي يتضرّعُ بشفاعتي لكي يدنو منك

وكنْتُ أقولُ حينما أتنفّسُكَ برئاتِ البلادِ

ينتفض العطرُ ويحتجّ على جسدي

وعلى الرازقي المشدود في عنقِكَ إلى أهدا بي

وتقول ساعبدُ اللهَ الذي يختبئ فيكَ

لكنّكَ تتركُني

غريبةً  
تذكّرني في صلاتك  
وأمتك التي لا تعترف بي  
وأنا بين نسائهم تائهة في النكران  
في الوحشات  
فشعبك لا ينتمي إلا لوشمه المختار دوننا  
وأمتك لا ترحّب بغير أولادها وأمهاتهم.

## صلاة أم شبات

أيها الحجاب الأخير  
عليك بقلبي لكي تهزم العوأم  
بهذا الوجدان البغدادي مصل الشعوب  
يضع كفيه الهائلتين من غمام وسلوى على كوارثنا  
ترقص الأصابع وتعزف مع الأذان  
رقصة يسمونها:  
”صلاة،  
قدّاس مريم،  
أو حياة شبات“

هذه أنوار عشتار وصلوات الأمّهات

فاطمة وهاجر ومريم وسارة وفكتوريا ودلة،  
أمية، وزينب يسورننا بالتعاويد والآيات  
لقد كنت تُعلنُ الحياةَ في جسد الحوريّات الطالعات  
من أديانٍ متعفّنة  
هلاً أحسستَ ببركانٍ يُغطي النهرَ حتى لو كان  
طعمُهُ كوكا كولا؟

## وَقَفْتُ أَمَامَ اللَّهِ

مَحْنِيًّا بِمَا حَمَلْتُ مِنْ حِمْلِ هَاجِرٍ  
أَبْرَحُ لَكَ بِمَا اقْتَرَفَهُ قَلْبِي لَعَلَّكَ تَغْفِرُ  
وَسْتَغْفِرُ

لَأَنَّكَ الْعَارِفُ وَهِيَ بِحِيرَتِي  
كَنتُ أَغْفَلُ عَنْهَا بِتَلْيِيتِي نِدَاءَكَ  
وَأَتْرَكُهَا هُنَاكَ

تَنْتَظِرُ  
وَلَمْ تَعْرِفْ أَنَّ انْتِظَارَهَا سَيَوَلِّدُ الْمَاءَ  
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ كُلِّ أَيَّامٍ انْتِظَارِكَ  
وَأَعُوذُ بِصَبْرِكَ يَا كَبِيرَ  
يَا مُعَلَّنًا

أَيَّامَ الْغَفْرَانِ لِمَحَبِّكَ  
وَلَيْسَتْ هِيَ تَعْرِفُ  
أَنْنِي مَفَارِقُهَا مُطَاعاً وَرَاغِباً  
وَأَنْنِي انْقَسَمْتُ بَيْنَ الشَّبَاثِ  
وَبَيْنَ سَارَةِ الَّتِي أَنْجَبْتُ أَعْيَادِي الصَّاحِبَةَ بِالسَّكُونِ  
وَلَيْسَتْ أَقْسَى عَلَيْهَا مِنِّي  
يَا رَبُّ اغْفِرْ  
إِنَّ حَلِيْبَهَا مَا زَالَ بِصَدْرِي  
كَنْتُ أَنَانِيّاً  
وَكُنْتُ بِخِيَالاً عَلَى وَلَدْنَا  
وَكُنْتُ يَا رَبِّي كَرِيماً مَعَهَا  
كَرِيماً مَعَ صَبْرِهَا،  
كَرِيماً مَعَ قَسَوْتِي  
لِقَلْبٍ أَحَبَّهَا  
وَشَقِّ بَخِيَانَتِي أُمَّتِي  
إِلَى  
”حَشُودٍ تَرْجُمُ سَارَةَ وَالْيَهُودَ“

وأخرى  
تُردّ في أورشليم  
”اقتلوا هاجر الآن الآن وليس غداً“.



## باب الاعتذار



## أمّ البغداديين

أَنْتِ دَيْنُ سَرِّي لِأَمَاكِنِ طِفُولَتِنَا  
سَمِينَاكِ ذَاكِرَةَ الْكَرَادَةِ<sup>١</sup>  
كَانَ بَيْتُ أَبِيكِ شِمَاشَ أَوَّلَ طَابُوقَةٍ فِي عُمُرِ بَغْدَادِ التَّنَوُّعِ  
وَلَيْسَتْ بَغْدَادُ الْأَمْوَالِ الْمَجْمُودَةِ  
يَا قِبْلَةَ الْبَغْدَادِيِّينَ آهَ لَوْ عَرَفُوا أَنَّكَ هُجِّرْتَ قَسْرًا  
وَأَنَّ وَرْدَ الرَّازِقِيِّ فِي حَدَائِقِهِمْ هُوَ عِطْرُكَ أَنْتِ  
لَهَبَّوْا طَارِدِينَ الطَّارِئِينَ عَنْهَا  
بَغْدَادُكَ أَنْتِ  
وَلَيْسَتْ بَغْدَادُهُمْ  
الْعِرَاقِيُّونَ الَّذِينَ غَنَّوْا لِلْفَرَاهُودِ أَغْنِيَاتِهِمْ الشَّهِيرَةَ

١ الكرادة: منطقة سكنية في بغداد.

”اشكد حلو الفرهود<sup>١</sup> كل سنة نتمنى يعود“

أعداء مدينتك

يوم كانوا يراقبون أمك الخاتون وهي تقرأ

تعويذة النوم

وترزم الحب للناس زوادة في أيام القحط

وتقسّم إنها لن تسقيك إلا ماء دجلة وستغسلك

بماء الفرات

أمك يا ميرا<sup>٢</sup> كانت أم بغداد

حزنت لحزن أبك حينما صرخت بوجه الدنيا

١ الفرهود هو حوادث الاعتداءات والسلب والنهب الذي تعرّض له يهود العراق بداية الأربعينيات وقد دخلت هذه المفردة إلى قاموس اللهجة والذاكرة العراقية التي قابلتها بعد سقوط النظام مفردة ”حواسم“ كدلالة على عمليات السلب والنهب الجماعي حينما تنهار السلطة. وهذه الأغنية من التراث الشعبي التي أعدها عاراً علينا كعراقيين وفي هذا الكتاب أعذر أنا شخصياً للعراقيين اليهود عن كل ما تعرّضوا له من تنكيل وإقصاء لعراقيتهم ومواطنتهم. وكذلك أعذر لكل الطيف العراقي من مسيحيين، وأيزيديين، وكورد، وصابئة، وشبك، وتركمان، وبهائيين، وكاكائيين ولما لحق بالمسلمين بعد ذلك أيضاً. لمزيد من المعلومات اطلع على الرابط التالي:

[http://ma69ablog.blogspot.com/201401/blog-post\\_16.html?m=1](http://ma69ablog.blogspot.com/201401/blog-post_16.html?m=1).

٢ ابنة فيوليت أبدلوا اسمها من ”أمل“ لأنه يشير إلى أسماء البنات من العوائل المسلمة إلى ”ميرا“ بعد أحداث الفرهود.

لثُعَلِنِي وَلادَتَكَ العِراقِيَّةُ  
وكانت الأعراف هي ذاتها التي وأدَّها المسلمون  
بعد إسلامهم.

”وَإِذَا المَوْوُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ“  
ظَلَّتْ الطَّوائِفُ تَقْيِسُ الأَنْثَى بِمِيزانِ الرِّبْحِ والخِساراتِ،  
”بِسلاحِ الشَّرَفِ“

الأَنْثَى لَدَى الشَّرْقِ فَأُلْ غِرابٍ يَنْعَقُ بِوَجْهِ أُمٍّ لَمْ تَصُحْ  
بَعْدُ مِنْ وَجَعِ المَخاضِ

كَلِّمًا فُتِحَتْ سَنَةٌ فِي عُمَرِ بَغدَادٍ وَلَدَتْ المَدِينَةَ  
مِنْ بَسائِنِها بِيوتاً جَدِيدَةً مِنَ الطَّابُوقِ

جَنائِنُ القِصْرِ المَعْلُقةُ فِي أَسْرارِ الجُدُرِ انْ كَبُرَتْ  
كَلِّمًا نَضَجَتْ أَيْنَعَ القِطافِ

وَكانَ حِصادُ الفِرْهودِ اللِّئيمِ هَوْلُو كَسْتِ يَذْكُرُ  
أَحْفاذَكَ بِهَوْلُو كَسْتِ الحِصارِ

حِصادُهُما مَرٌّ وَسَماؤُهُما كِراهِيةٌ وَجَهْلٌ يَريدانِ  
رَأْسَ البِلادِ

حيث فندق بابل<sup>١</sup> الحديث الذي اغتصبَ القصرَ،

بيتك...،

وطنك الأوّل والأصيلَ،

بلادك المعذّبة تحت سوط الغرباء.

يا أمّ بغداد

ابنتك استبدلت اسمَ "أمل" بميرا لأنّها لم تشأْ

مُشاطرة الطوائف أسماءها

العراقيّون البابليّون

البغداديون

ليسوا همُ

ولكن أولئك بممحاة الحروبِ والتهجيرِ

اغتصبوا بغدادك

استأجروا أهل بيتك لإطاحة العمود الفقري

في جسد البلاد

التي ظلّت عليلةً ولم يبرأ العراقُ من محنته

١ فندق بابل: <http://warwickhotels.com/ar/babylon-hotel/> هو الفندق الذي

أقيم على أثر هدم أول قصر بني من الطابوق في مدينة بغداد في أوائل القرن الماضي والعائدة ملكيته إلى عائلة شماش وزوجته فيوليت.

فالتهجيرُ علامةٌ فارقةٌ في ذاكرة العراقيين  
بغدادُ التي لم تعرفْ عودَ الثقابِ قبل ولادتكِ  
لم تعرفْ غيرَ بيوتِ الطينِ التي علّمت سكاَنها  
الدّرسَ الأوّل في المَدَنِيّة  
بغدادُ تصرخ بكِ وتشدّ على يومياتكِ  
التي أبّت وانتصرتْ على النسيان  
انتصرتْ على مَنْ اغتصبوا حُلْمَكَ  
مذكراتُ جَنّةِ عدن<sup>١</sup>  
هي رئةٌ تتنفسُ بغدادُ هواءَها العذبَ  
وأناسَها المشرّدين في الشّتات  
تمنّيتِ وداعَها وأنتِ باستقبالِ الزائرِ الثقيلِ  
ذهبتِ وروحكِ إلى هناكِ  
وقتها تمنّيتِ من الزائرِ الإسراعَ في مهمّةِ إلقاءِ  
القبضِ على أنفاسِكِ الهائمةِ بها

١ إشارة إلى كتاب مذكرات "جَنّةِ عدن" التي جمعت فيها ابنة فيوليت وزوجها توني روكا كل ما دوّنته فيوليت من يوميات من الحياة في بغداد وقبل إعلان دولة ١٩٢١ اسمها العراق. للمزيد من المعلومات عن هذا الكتاب اطلع على الرابط التالي: [www.memoriesofeden.com](http://www.memoriesofeden.com).

ورددت مع أحمد صافي النجفي

”عاد العراق عودةً ما أقساها

نسمعُ

أسمعُ بغدادَ ولا أراها“

لن تُبصرِها أبداً

لأنهم يكتبونها بالثأر الذي لم يتعبوا منه بعد

ولغةِ القتلِ

والكذبِ ونفاقِ الشعوبِ

والفقرِ الملعونِ

ويزورون ملامحَ جديدةً لبغدادِنا لبغدادِكِ

بغدادُ فقدت عُذريّةَ تاريخِها

ونكّست وجهَها بعدما نثروا التيزابَ بألقِ عينيها

لكنّكِ وحدكِ وأهلنا المنكوبون

أعدتم لنا وحدنا

حاملي سرِّها الأعظمِ

سرِّ بغدادَ

أعدت لنا بغدادَ



وشمّ المقام العراقي،  
سليمة باشا،  
ناظم الغزالي،  
عفيفة اسكندر،  
مائدة نزهت،  
يوسف عمر،  
أميرةُ المدنِ وخالقةُ الدنيا  
سبيةُ التطهيرِ وخرافاتِ الطوائفِ  
والتفجيرِ وثراتِ التاريخِ والتكفيرِ  
يا أرملةَ العراقِ المعافى  
فُكّي عن وجهكِ راياتِ السوادِ  
يا أيقونةَ الأحرارِ والفقدانِ  
انهضي والأمّهاتِ والمهجّرينَ والمهاجرينَ  
والمذبوحينَ بصمتٍ  
فَمَنْ لَنَا نحن البغداديينَ غيرُكَ ”يُرَبِّي الأملَ“؟!

## يا أمّ سامي<sup>١</sup>

”يا ظالم إلك يوم

مهما طال اليوم“

قتلوهم

أو هكذا ظنّوا

أرادوا أن يقتلوك

حينما أشهروا بوجهك قانون إسقاط الجنسية<sup>٢</sup>

١ أمّ سامي إشارة إلى والدّة الناقد البروفسور سامي موريه المعلّم من الطائفة الموسوية اليهودية هُجّروا قسراً في الخمسينيات وهذا النصّ مستوحى من رواية حقيقية لقصة هروبهم.

٢ قانون إسقاط الجنسية العراقية أو ما عُرف بسنة التسقيط، هو قانون أجبر بشكل غير مباشر يهود العراق على إسقاط جنسيّتهم العراقية بعدما سُدّت جميع أبواب الحياة في وجوههم في العراق وبعد ما طاولهم من تمييز وانتهاكات ليس آخرها عدم اعتراف عراق ما بعد ٢٠٠٣ الديمقراطي بهم ولا إعادة مواطنتهم المتمثلة باستعادة جنسيّتهم العراقية وقبلها تاريخهم.

وأخبروك أنّك أصبحت خارجةً عن القانون  
العراق الذي تعرّق في عروقك  
”بجرّة قلم

سياسيّ أحمق“

لم يعد عراقك

لم يعد وطنك

لم تعد بغدادُ مدينتك

لم يعد حتى البيت الذي كان مثل ولدك

بيتك

لم تحصلي عليه بمكرمةٍ من ”القائد الفذّ“

أو بقرارٍ من رئيس وزراء العراق الجديد

البيت الذي بناه موريه

ليل نهار

مثل إبراهيم وهو بيني بيت الله بيته

مثل هاجر حينما بنت مكةً ومنحت للمسلمين ماء زمزم

كنت تحملين الطابوق وأكياس إسمنت

تخفّفين التعب عن أسطوات بيوت بغداد وشنايلها

كنت كطفلةٍ فرحةٍ ببيتِ العمرِ  
كلُّ طابوقةٍ لها معنى في سياقِ بناءِ الوطنِ  
أغاظهم دلائلُك وتفرّدك بالجمال والفضّة  
التي كانت تمثّل أكثرَ من مهر العُرس  
كانت فضّتك هي سندُ ملكيةٍ لهويّتك العراقية  
لبلدك الذي كان  
وسيقى أبد الآبدين  
العراقُ  
ومهما طال هذا اليومُ  
سيأتي اليومُ  
يُعلنُ للظالم  
أنك انتصرتِ عليه  
بهذا اليوم.

## نيران<sup>١</sup> وحوريتها اليتيمة

كانت نيرانُ فرحةً  
وهي تُلَمُّ هذا الحنينَ من تاريخه  
جمّعت أولادَ إبراهيم وأحفادهم  
التائمين في شتاتِهم الباردة  
وأشعلت ناراها نيرانُ لُتْدِفَتِهِمْ بشفاعة الرافدين  
مثلَ فراشةٍ تحلّقُ بحوريّتها المبلّلة بهذا البلد  
تُمسكُ نيرانُ بكاميرتها المتواضعة  
تلتقطُ أنفاسَ محبيها  
في خزانة الصّور

١ نيران بصون - تمن: هي ابنة الصحفي الشهير سليم بصون هُجّرت في السبعينيات ولم تعد إلى العراق لكنّها استحضرتَه عبر كل شيء خاصّة في "منتدى مير بصري الثقافي" الذي أسّسته في لندن مع الناشط العراقي ضياء كاشي لتجمع فيه كل العراقيين هناك.

نيرانُ جاءت بالفُرّاتِ من أزقةِ بابلٍ وأورشليمَ  
وأَمَسَكَتْ بيدها الأخرى حوريتَها اليتيمةَ  
حوريتَها المُمسِكةَ بحرّيتها لا غير  
وقالت للفراتِ:

”لا تغضبْ ولا تعاقِبْنا مرّتين،

سآتي بكِ إلى أحضانِ دجلة،

لتفيضَ حبّاً وصبراً

لتلتفّ حزامَ أمانٍ على خصرِ حوريتنا.

يا جميلاً،

يا حزيناً،

يا صامتاً ومملوءاً بالسّكوتِ“.

لم تُكْمَلْ نيرانُ صلاتِها

خوفها من كاميرةٍ لا تتّسع للتاريخ المصاب بالشيذوفرينيا

فتُسرّعُ

تختَرِعُ إطاراً يُمسِكُ ببلادها،

ببابِ عشتارَ

نيرانُ تشتعلُ لتُضيءَ ظلامَ التأويلِ

فتكبرُ عدسُتها... تكبرُ  
حتى يقفزَ الضوءُ  
في عيونِ تختزلِ التاريخَ  
تُمسِكُ بالأملِ  
لتمضي نيرانُ وحواريَّتها،  
وفرائها،  
وقافلةُ آلِ إبراهيمَ صوبَ الشمسِ،  
وتُعلنُ في الصّورة،  
انهزامَ المستحيلِ.

## سامي يا معلِّم العراقيين

”الآن أستطيعُ أن أسألكِ بدوري: ”السيدة أمل،  
هل عشقتِ يهودياً  
أو عَشِقتكِ يهوديٌّ في بغدادَ وفي الخارج“؟  
مع حُبِّي واعتزازي بصداقتكِ  
مُحبُّكِ سامي“<sup>١</sup>  
”صحَّ عند الناس أني عاشقٌ غيرَ أن لم يعرفوا  
عشقي لِمَن“ (ابن عربي)  
أنتَ من يسألُ يا ابن المعلِّم؟!  
يا مُعلِّمَ العراقيين لغز الحياة،

١ سامي: هو البروفسور سامي موريه المعلِّم، الناقد وأستاذ الأدب العربي في الجامعة العبرية لمدينة القدس. نشر موقع إيلاف مذكراته عن يهود العراق التي جُمعت في ما بعد بكتاب بعنوان بغداد حييتي. عرف بشعبيته الكبيرة بين أوساط العراقيين في المنافي وداخل العراق.



في دين التسامح  
تسألني وأنت المعلم  
فقلبي لا يقبل القسمة على نيين  
فلماذا ذهبت في التأويل إلى معطف الكلمات  
ولم تر من لغتي حُجب الحلاج  
هيام رابعة العدوية

عشق ابن عربي  
وأنا ابن الفارض<sup>١</sup>  
صحَّ عند حدسك أني عاشقة  
وتريد أن تعرف عشقي لمن؟!  
فلو اقتربت قليلاً من نظرتي  
وعيونته التي تنظرُ إلى أبعد من هذا اليقين  
لأدركت في محمد حباً يحتاج كل هذا الشك  
ولأخذته في نظرتَه إلى زينب بنت جحش<sup>٢</sup>  
حتى وإن قولوه بأن العينين شهوة لا تجلب غير الندم

١ الحلاج، رابعة العدوية، ابن عربي وابن الفارض: هذه الأسماء من أهم الشخصيات في تاريخ التصوف العربي الإسلامي.

٢ زينب بنت جحش: هي زوجة النبي محمد (ص).

ولكن الندم فكرة،  
والنظراتُ حتى وإن أنجبتِ الحسراتِ،  
فهي من ستحرثُ أرضي،  
لتنهارَ الأنهارُ في أرض ميلادي،  
وكعبة الميعاد،  
فيصحُ عشقي فيكم،  
في خرابكم،  
ونكبتكم التي أخت برأسها على كتفي  
وحياتي التي علّقها على مشانق الثأر  
أبناء جلدتي  
لم أعرف منهم غيرَ شعوبٍ تموتُ بالنفاق،  
أو تطير بي كلّ يومٍ في الإشاعات،  
والوشايات  
موسى جدّ أبي  
وعيسى خالُ أمّي وإبراهيم جدّي  
فأين الهروبُ من سؤالك أيّها المعلّم؟

## إيلين<sup>١</sup> وداود خلاصجي

كانت التوراة كتابك وكنت أوصيت إبراهيم  
أن يُطِيح هاجرَ من أجل سارة  
فلماذا غابت الأخيرة عن أيتام أولادك وقبائلِك  
لكني الآن في حضرة داود وإيلين  
أدعوه خجلةً من حنينه لبلدنا القاسي  
وأقول له وأنا أحضنُ بقلبي نيرانَ العراق  
”أبي الذي فارقتني في سُمٍّ مجهولٍ  
أبي الذي فارقتني وهو لم يشأ أن يفعل ذلك  
أحبَّ حوريَّته البابليَّةَ  
التي كسرت قيداَ وأصدافاً لتخرجَ مليَّةَ الحجِّ

١ إيلين هي حفيدة الحاخام الأكبر للطائفة اليهودية في العراق في مطلع القرن العشرين وهي قرينة السيد داود خلاصجي من الأسر المعروفة في العراق.

إلى نداء قلبها  
وظننت أنها ستكون هاجرَ وسارةَ معاً  
لم تصمُداً أمام اللوم الذي سحبها من أمومتها  
وغابت في الغياب القسريّ هناك  
لكنّها تركت لكم في بغداد إرثاً  
مثل جمرٍ يشتعلُ بعيداً عن عَسَسِ الناسِ  
والسلاطين

كان أبي يُخبّي سرّه بـ ”لا“  
ويريد أن يحفظني في راحيلَ كما سمّاها وكتّمها في قلبه  
وأطلق لها عنانَ الأسماءِ علناً قائلاً ”هاجرُ منّي وهي كلّ  
وهي منكم“

ولكن يا والدي الذي لم يُعاشِر أمّي ولم يُخصّبها  
بندى الورد

يا والدي في كفّك التي حملتني أمسِ إلى هناك  
حيث غابت أمّي التي سجّنتها التوراة في مُعتقل الدّين  
وكان أبي يريد عتّقها

ليعتقَ رجولته من دينه الذي أسره مثل صقرٍ

ينهش قلباً جريحاً لم يمّت بعد  
سيدي وكفى بالعراق أنك، أنه أنت البلادُ  
البلادُ النظيفةُ  
البلادُ الجميلةُ  
وَبُنَاتِهَا الَّذِينَ خَتَمُوا الْوَطْنَ الْبَابِلِيَّ السُّومَرِيَّ  
في مجرّة الخير  
حسّ قيل ساسون<sup>١</sup> حامي ثروات العراق  
غيرَ مبالٍ بغضب الإنكليز  
ما همّه سوى فَهْرِ الْفَقْرِ في بلاد النفط  
حافظاً ضامناً في ضميره صرخات الجِيع  
بعراقيّته هزم الجنيهَ الاسترليني ليؤمن  
العيش الكريمَ لشعبه  
شعب العراق كله  
عناؤه كَتَبَ للبلد الرضيعِ القاصرِ آنذاك حظّاً جديداً  
بمواطنينَ لا يصلّون إلا صوب أوطانهم قبلةً

١ حسّ قيل ساسون: هو أول وزير مالية في تاريخ العراق كان مدافعاً عن بلده حريصاً ومفاوضاً صعباً مع البريطانيين أثناء انتدابهم للعراق، عُرف بنزاهته ووطنيته.

ووفاءؤهم للبلاد هو العيد والشبّاث

يهود العراق

لم يَسْرِقُوا

لم يمدّوا يدهم على مالٍ حرام.

يهودُ العراق الذي هُجِّروا،

وهُتِكت أمانيتهم دونما ذنبٍ،

ونَهَبَ أبناءُ البلاد خيراتهم.

التاريخُ يهزُّمني أمامكم يا سيّدي داود

دعني أقبلَ دمعَتَكَ التي تساوي كلّ العمائم الزائفة

في ملّتي

دعني...

فهل ستغفر؟

هل ستغفرون؟

على الله خلاصُكم ومجدُكم

فراثاً لن يشيخ

والديوانية<sup>١</sup> التي أنجبتموها في سهول العراق

١ الديوانية هي إحدى مدن العراق حيث كان آل خلاصجي أسرة داود =

هي إرثكم في حبّ البلاد التي قَسَتْ  
وجارت واحتارت في حياة تحشركم  
في النكبة والشتات  
لكنّ الله أنزل ذاكرةً لملائكته في أرض الرافدين  
ليُنقذني بكم بعد يُتمّ طويلٍ  
أهلي  
وطائفتي  
وشعبي  
دعني أصرخ اعتذاراً  
لكنّك تفاجئني ولم أصدّق حينما جُدتَ بعطايك:  
اسم الله كان منقوشاً بالضياء والفضّة التي كانت  
خضراء مثلهُ  
أرادوها سوداء  
تُسوّد بالحرب  
لكنّك منحتَ الله ليلةً أمس لونه

---

= يمتلكون أغلب أراضي المدينة وقد عرفوا بامتلاكهم أكبر مزارع رز  
العنبر.

أخضرَ مثلَ جنّاته المعلّقات  
في عيونك الخُضرِ  
يا والدي الذي غاب منّي في بغدادَ  
وحلَّ اليومَ في لندن  
أيةُ هبةٍ تلك التي تفوق الجنةَ  
وتختزلُ كلَّ الأديان في كفِّ أبٍ  
هبطَ بمظلةِ اللهِ إلى أبنائه  
وأمُّ مثلُ إيلين  
أمي التي لم تلدني  
لعليّ في ابتسامتك التي تجمع بين خديك  
رصافةَ بغدادَ وكرخها  
بغدادُ تذكُرُ غنجها الأرستقراطي  
رأيتها دون سخامِ الحروب  
والحصارات  
وحسدِ الطارئين عليها  
وظلمِ طُغاتها في وجهها  
رأيتها أمسِ



حلوّةٌ كما كانت في طفولتي الهاربة من جسديها  
رأيتها يا أمّي في مائدتك التي اختصرتْ ترفنا  
مائدتك كان العراق فيها حاضراً  
البرتقال الذي أطفأ مرارة أعمارنا  
كأنك عُدتْ بي إلى بستان أمّي  
إلى حديقة أبي الذي زوّج الرازقي بالشبوي فأنجبتْ  
أرضنا كاردينيا بلون عُرس أبيض مثل قلبك يا إيلين.  
كاردينيا

استطالت حتى غطت قبر أمّي في وادي السلام<sup>١</sup> حيث لا  
سلام  
لا عراق

سينجّني مرّة أخرى لأفتش عن أمّ غابت في الخوف  
عن أمّ غيّبتني في تاريخها المقهور  
المكبوت في صدور العراقيين  
إيلين ابتسامتك عروّة وثقى أمسكُ بها

١ وادي السلام هو أكبر مقبرة معروفة في العالم تقع في مدينة النجف الأشرف في العراق.

كي لا أخسرَ بغدادَ إلى الأبد  
كي أعودَ إلى حضن أمّ غابت هناك وقد تعود  
ذات يوم لتُنَجِّبني  
علناً دونما خوفٍ من توراتها  
ومن قرآن  
رجُلها الذي مات تاركاً وصيّةً تقول:  
عليكم ببابل لتُعيدوا البلادَ إلى حضن الله  
وتُعيدوا الله إلى أرض الأنبياء  
ولتدخلوا بغدادَ يا يهودَ العراق ذات يومٍ  
ولتدخلوها قريباً آمينين.

## نيران حاملة الأسرار

صرختُ بحزنها معنفةً إيَّاهُ من نفاذ صبره  
قائلةً له:

”لن أتخلّى عن الألم“

هل تعرفين يا حوريّتي لم؟!!

لأنني أمسكُ الآن بالأمل

حينما تغضبُ روح الله المعجونة بحوريّتي

يلفُّ النحسُ سريرَ إبراهيم

وسارة التي أرادت أن تكون أمّ الغائبين

فلم تفلح

ولم تدرِ

أَنَّ الأديان تناسلت في رَحِمِ هاجر  
هاجر التي نامت في التاريخ طويلاً دون أن تدري  
أَنَّ الحجرَ الأسودَ يزحفُ من هناك  
ورجلُها الذي لا يدري أَنَّهُ في كلِّ صلاةٍ في عينيها  
يحجُّ إلى أورشليمَ وإلى البيتِ الحرامِ معاً.  
حلالٌ حجُّكَ يا حبيبَ الله  
يا حبيبَ روحه وصورتَه الجميلة في سحرِ هاجر  
هاجر تُمسِكُ بنيرانها وتصلِّي لأوّل مرّةٍ  
تصلِّي بقلب طفل  
طفلٍ شاخَتْ طفولتُهُ في بابل المهجورةِ

وحينما تبحثُ أصدافُ الحوريّةِ عن حرّيّةِ الماءِ  
تهرعُ النيرانُ حاملةً سَعَفَ النخيلِ والزيتونِ  
تجثو فوق طفلتِها التي تفتّشُ عن ثوبِ عرسٍ  
ستر تديه هناك

في بيت المقدس وتحت قبة البُراق  
طفلتِها التي أخفتْ جدائلَ رحلتها السريّةِ

خوفَ التماسيحِ التي لا تحبُّ الحوريَّاتِ  
ولا تحبُّ أن يبقى الفراتُ حاضناً دجلة  
رغماً عن أنف السدود التي تزني بمياهه لتولدَ لشعوبنا  
القحط،

والجفاف

التماسيحُ تجوب الصحراءَ والفراتين  
وتبحثُ عن المرتدِّين  
والحوريَّاتِ حينما خرجن عن قانون البحار الميتة  
وهربن الى الفرات قسراً  
وقهراً  
وسراً

أسيرات، سبايا، وأميراتُ  
لكن دجلةُ أشار لأرض العراق بأن تُكَبِّرَ المآذنُ  
وتُقرَعَ الأجراسُ  
وتُتلى التوراةُ  
ويُسمَّى الله على خبز العيد  
أسماءَ محبيه

فإذا بها

به

بهم الثلاثة

مثلث الحياة القادمة للبلد الذي انتحر من الانتظار

الثلاثة يكتبون دين البلاد الجديد

ويسملون بالحب،

بخالقه،

بمُريديه،

وبحوارييه،

بأوليائه،

وبالسلام

وبنيران حاملة السرّ وكاهنة الحب المرتدّ

عن شريعة التماسيح.

## أهلي

الذين هم أهلي  
يتباهون بي  
ويطوفون سبعَ مرّات بين مكانين كانا علامةً  
لقهري وصبري  
ويقولون إنهم أهلي  
وأنا هاجرُ  
حينما أحاولُ أن أصعدَ بهم إلى العُلى  
وأقولُ لهم ربّي واحدٌ  
وربُّهم واحدٌ  
وربُّ إبراهيمَ ربُّهم  
وربُّ سارةَ ربُّهم

وَرَبَّنَا وَاحِدٌ وَجَدُّنَا وَاحِدٌ  
وَوَحِيدِي لَمْ يَنْزِلْ عَلَيَّ مِنَ الْفُضَاءِ، كَانَ مِنْهُمْ  
إِبْرَاهِيمُ الَّذِي تَرَكَهُمْ  
وَوَغَابَ عَنْهُمْ  
أَعَادُوهُ بِقُوَّةِ السِّيفِ هُنَاكَ  
وَأَعَادُوهُ بِقُوَّةِ الْمَحَارِقِ هُنَا  
وَأَنَا مِنْهُمْ  
وَلَسْتُ مِنْهُمْ يَا رَبَّ إِبْرَاهِيمَ  
لَمْ أَكُنْ مَعَ غَزَوَاتِهِمْ حِينَمَا جَاءُوا بِالْأَسْبَابِ  
وَلَمْ يَكُنِ الْفَرَسَانُ غَيْرَ فَرَسَانٍ لِلْمَوْتِ  
وَالْمَالِ  
وَالنَّدْبِ  
وَأَنَا بَقِيْتُ أَقُولُ أَنَا لَسْتُ مِنْكُمْ  
وَهُمْ يَخْنَقُونَ صَوْتِي بِأَصْوَاتِهِمْ  
الَّتِي لَا تَنْتَمِي إِلَّا لِلْخِرَافَاتِ  
وَالْأَبْطَالِ الْوَهْمِيِّينَ  
قُلْتُ لَهُمْ مَا هُوَ الشَّرْفُ؟



وأنتم تتحدثون عن الثأر؟  
 صفعوني بالدين  
 وقالوا شرفك عارُنا  
 أليس العارُ هو القتل؟؟  
 أليس العارُ هو الكذب؟؟  
 أليس العارُ هو الخيانة والجحود؟؟  
 وأرواحكم لم تعرف غيرها  
 فأنا لستُ منكم  
 وإبراهيمُ الذي ورّطني بكم  
 عليه أن يعيدَ الله إلى سمائه  
 يعيدهُ إلى الحبِّ  
 يعيدهُ أبيضَ لا يحملُ سخامكم  
 وأنتم هل تصدّقون أنّه يمدّ يده منذ مئات السنين  
 رافعاً بيتي هناك  
 وليس بيتكم  
 كلّما  
 كلّما سجنتمُ الله في اللطم

وفي الانتحاريين  
أو أكذوبة "الجهاد" كلما...  
مزّقتم الله قبائل لا لتتعارفوا بل لتتفرّقوا دونه  
بقنابل موقوتة:  
هي "الدين"،  
هي "التحرير"،  
هي... الهزائم لا غير  
لا لست أنا  
ملكة بابل تصرّخُ بي تعالني يهاجر نحن... نصلي  
بانتظار بركاتك... شفاعاتك  
عودي  
ابتلعي السنوات  
وتكوين البلدان  
وارفعي قلبك لتهبط منه أبراج المدينة  
باتّجاه باب العرش  
ولن تجدي غريمة لك  
لن تجدي غير عطر الله يملأ حدائق إبراهيم المعلقة

من أجلكِ

هاجرُ يا أمَّ السلام

يا ربَّة الصَّبر

هاجر

نحن أنتِ

بناتُكِ أميراتُ بناتِ داود،

بناتُ وحيياتِ يوسف،

زوجاتُ يعقوبَ وحيئاتُ إسحق،

ومريداتُ زوجاتِ الرسول،

وأُمَّهاتُ عيسى

هاجر...

تنفّسي...

اطردِهم وأنتِ تغتسلين بالله

وتغزين "إسرائيل" بحبٍّ لم يعرفوه من قبل

بقلبٍ لم يَألفوه

قلبٍ مرَّت عليه سكاكينُ إبراهيمَ من جرفي الفرات

ومن أسْرِ النيل

قلبٍ مرّت عليه شعوذةُ المخرّيين  
مرّت عليه ثاراتُ القبائل  
وكرّهُ العراقيين لبعضهم  
وكرّهُ المسلمين لليهود  
وكرّهُ اليهود لحماس  
وكرّهُ الفرس للعرب وإسلامهم  
وكرّهُ المتأسلمين لكلّ من سبقهم وجاء بهم في بيت هاجر  
هاجر

يا حاملةَ رايات السلام  
يكافئك ربك العارفُ بقلبك  
بالنسيان

وُنسيك أنك كنتِ أمّاً لولده  
وُنسيك همّه  
وُنسيك كلّه  
لكنّه

يزرعُ فيك  
نبيّه الأخيرَ.

## الباب الأخير



## وجدتُ كلَّ شيءٍ إلا...

كانت الأرضُ أرضنا والبلاؤُ بلادنا  
لا تعرفُ الحدودَ

كانت هويّاتنا وجوهنا التي تعرفُنا  
فهي نامت في رحمنا  
أنا وسارةٌ ومريمُ

إبراهيمُ

إن كنتَ تسمعُ ما أقولُ  
أو كنتَ تقرأُ فاللهُ قد فتحَ له حساباً  
في بريدِ الحياة الجديدة

فلم يُعدْ يهْمُنِي إن نسيْتَ قراءَةَ وصايايَ وتعاليمي  
فاللهُ له مُلكُ السماواتِ ومُلكُ حساباتنا البريديّةِ

إذاً ستقرأ  
وستعرف أنني  
وجدتُ أولادَكَ  
وقد نسوا أنَّ الجنَّةَ تحت أقدامنا  
وكلُّ شيءٍ عدا الربِّ  
يمشي خلفهم  
وجدتهم خائفين  
يخفون الخوفَ في مرآةٍ هنا وهناك  
أو لعلَّهم يسمونها اليومَ كاميراتِ مراقبةٍ  
الكاميراتُ تختزلُ كلَّ حياتنا  
كمبيوتر أو هكذا يسمون أقدارنا  
خوفهم أخافني  
خوفي أخافهم  
ولكنِّي صبرتُ  
مثلَ أيُّوبَ  
وكنت أظنُّكَ بانتظاري  
كما كانت هاجرُ كلَّ العمرِ بانتظارِكَ



وجدتُ عمرَ بنَ الخطابِ

وسألتُهُ عن عليٍّ

وجدتُ زينبَ بوجهِ نوريّة<sup>١</sup>

وجدتُ فاطمةَ بقلبِ فرحة<sup>٢</sup>

وجدتُ الحسنَ بوجهِ سامي

وجدتُ

وجدتُ

وجدتُ

كلَّ شيءٍ

رأيتُ كلَّ شيءٍ

وقصدتُ النبيَّ في المسجدِ الأقصى

وتعبتُ من أسئلةِ حراسِهِ الذين نسوا أيَّها الربُّ

أنَّك بعثتُ رسولَكَ ليدعوَ القبائلَ إلى قبلةٍ واحدةٍ

١ نورية: سيدة قُتل والدها وأخيها أثناء أحداث الفرهود لكنها حتى اللحظة وبعد أكثر من ستين عاماً على تهجيرها من بغداد تحلم بالعودة إلى العراق.

٢ فرحة: سيدة من يهود العراق هُجرت إلى "إسرائيل" بعد أن سُجنت في العراق لكنها ما زالت تحلم بالعودة إلى مدينتها بغداد رغم تجاوز عمرها التسعين عاماً.

قَبَلَتِي أَنَا

هناك في سجن الجزيرة

كان عليّ أن أَرَدَدَ مِثْلَ بَغْءِ أَنَّ اللَّهَ هُوَ اللَّهُ

وَأَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ رَسُولُهُ

ما هذا يا إبراهيم، لم تَعْلَمُهُمْ فَنِّ الاحتفاء بالضيف؟!!!

دَخَلْتُ لِأَشْكُو لَعْلَهُ يُوَقِفُ بَدْعَةَ الْحُدُودِ

وَيُخْرِجُ سُنَّةً تَقُولُ:

”إِن الْأَوْطَانُ لِلنَّاسِ وَإِنَّ الدِّينَ لِلَّهِ“

وما نحن إِلَّا أَهْلُ بَيْتِكَ

وَبَيْتُنَا هُنَا

وهناك

وأهلنا هنا وهناك

فلماذا وَمَنْ؟!

وكيف حدث؟

خَبَّأْتُ غَضَبِي مِنْكَ وَمِنْ رَبِّكَ كَيْ لَا يَتَّهِمَنِي بِالْجُحُودِ

على حافة الأقصى جلسنا،

صوبَ حَائِطِ الْمَبْكِيِّ وَجَّهْنَا أَمَانِينَا،

ومع ترانيم كنيسة المهد والقيامة غنّينا،  
حينما تذكّرنا بابل التي يريدون اغتصاب اسمها<sup>١</sup>  
مثلما اغتصبوا تاريخنا  
وقالوا لنا:  
”صلّوا،  
غنّوا،  
ابقوا هذه أَرْضُكُمْ!!“  
كيف نبقى في أرضٍ أصبحت غريبة؟!  
والحصارُ هنا وهناك  
حصارُ الجهل،  
حصارُ التصحّر،  
وأزمة العقل؟  
وأنتَ وانحطاطُ شعبك وكلّ السفهاءِ في ملّتي  
يحاصرونني

---

١ إشارة إلى محاولات جهات دينية في العراق عام ٢٠١٦ تغيير اسم مدينة بابل إلى مدينة الإمام الحسن لكن الحملة التي قادها المجتمع المدني في العراق أوقفت هذه المحاولة، وتمثّلت بإطلاق الهاشتاك الشهير #اسمي\_بابل.

في كلِّ الأزمنة

إلا هنا

فقد حاصرْتُك بأسئلتِي وقلْتُ لك لماذا أوصيت إبراهيم،

بما أوصيت؟

وهل حقاً؟

هذا الذي أقرأهُ في توراتك هو كتابُك؟!

وماذا عن كتابك الأخير؟!

الظُلْمة لا تظلم

وجدتُ في كتبك أشياء،

وجدتُ هناك كلَّ شيءٍ:

وجدتُني،

وجدتُها،

وجدتُهم،

لكنني لم أجد حقيقةً تُسمَّى "هو".

وجدتُ وهماً لرجلٍ باع قلبه،

وجدتُ شظايا لرمادِ حرائقه،

وجدتُ في أسطورة الخلق كلَّ نسائه،

وجدتُ أولادَه،  
ولم أجد حرفاً واحداً،  
نبضاً واحداً،  
لبشرٍ قالوا إنه ”أبو الأنبياء“،  
وقال قلبي إنه رجُلِي،  
وقالت ضُرَّتِي إنه رجُلُها،  
وقال إسماعيل إنه أبوه،  
لم أجده يا الله...  
لأننا من أوجدناه في مزاد الأديان،  
ومن أورثناه كلَّ حروينا،  
ولأنني أردت أن أنهي كلَّ ما قد بدأت.  
لأنك  
ولأنك أنتَ  
ولأنكم جميعاً تعرفون  
وتحرّفون  
وتنافقون في بازارات نُباع فيها سبايا  
في بورصة المعجزات،

والخرافات،  
وباسم الدين  
اخترعوك  
ونسبوك لهم  
وتخاصموا في نسبك  
وشككوا  
وتوارثوك حقداً وروايات  
في ركام الأديان وحُجُبها  
في طلاس الرواة والحافظين لمزاج الغيب  
باعوك وأنت لم تكن  
فمن غيرك سيدلهم؟  
سندك أنك كنت أمةً  
وتشظّيتَ إلى ما تشظّيتَ  
فلا أنت أصلاً ولدتَ ولا أنا  
الباحثةُ في عاصفة قيامةٍ  
تقولُ لي:  
اخلعي حجابَ الحجابِ

فأسدُلْ في هذا الكتاب  
كلَّ حُجَّةٍ كونيَّةٍ لبابِ أسطورةٍ غائبٍ،  
ووهَمٍ،  
يُسَمَّى أَنْتَ...  
لأنَّني وجدتُ في محرابِ قلبي،  
وعقلي هناك كلَّ شيءٍ إلَّاك  
إلَّاك أَنْتَ.

